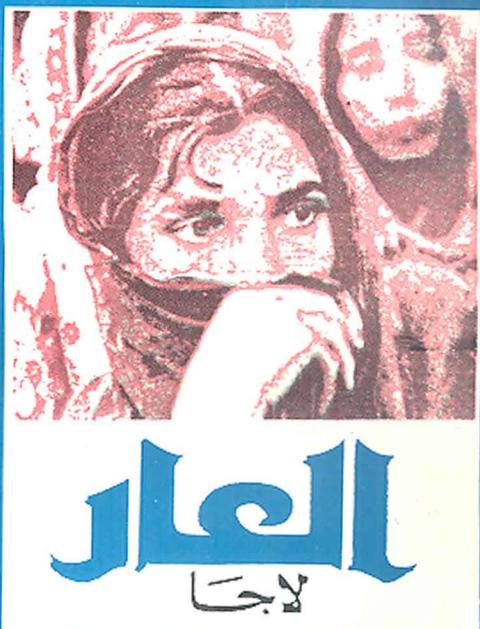


افتراءات الكاتبة البنجلاديشية
تسليمة نسرین

على
الاسلام
والسالمين



د. إبراهيم عوض

دراسة نقدية لرواية «العقار»

مختار من كتب الأديبة
www.books4all.net

افتراءات الكاتبة البنجلاديشية

تسليمة نسرین

على الإسلام والمسلمين

دراسة نقدية لرواية «العار»



حقوق الطبع محفوظة

افتراءات الكاتبة البنجلاديشية

تسليمة نسرین

على الإسم اللام والمسلمين

دراسة نقدية لرواية « العار »

د. إبراهيم عوض

مكتبة زهراء الشرق

١٩٩٦ م

المقدمة

فى « أهرام » الاثنين ٢٤ يونيه ١٩٩٦ م كتب الأستاذ رجاء النقاش مقالا بعنوان « الغاضبة » يدور حول الكاتبة البنغالية المعروفة تسليمه نسرین وروايتها « العار » ، وذلك بمناسبة صدور الترجمة العربية لهذه الرواية بقلم الكاتب الصحفى الأستاذ عصام زكريا .

وقد احتوى مقال الأستاذ النقاش على عدة قضايا : أولاها رأيه فى الترجمة ، التى وصفها بالامتياز والدقة والروعة . وكنت قد اشترت الكتاب وقرأت شطرا كبيرا منه فلفت نظرى كثرة الأخطاء النحوية والصرفية والأسلوبية فيه (وإن كانت هناك كتابات كثيرة مما يصدر هذه الأيام أكثر أخطاءً وأشنع) ، ومن هنا فقد أثار هذا الإطراء الشديد عجبى واستغرابى ، إذ كيف يمكن أن يصف كاتب كالأستاذ رجاء مثل هذه الترجمة الكثيرة الأخطاء بما وصفها به ؟ ثم قلت لنفسى : لا بد أن أحصل على النص الإنگليزى لأقابل بينه وبين الترجمة العربية ، فلعل رجاء النقاش لم يهتم بصحة الأسلوب العربى بقدر ما اهتم بسلامة النقل عن الإنگليزية . وقد بذلت أنا وبعض الأصدقاء جهدا مضنيا حتى ظفرنا بصورة من الكتاب ، وعندئذ

شرعت في عملية المقارنة .

وخلاصة النتيجة التي خرجت بها من تلك العملية هي أن الترجمة صحيحة في قسم من الكتاب ، على حين أنها ليست أكثر من ترجمة تقريبية في قسم كبير منه ، أما القسم الثالث والأخير فيشتمل على عدد غير قليل من الأخطاء . وذلك كله غير الصفحات وال فقرات والسطور والجمل الكثيرة التي أهملتها الترجمة عمداً أو سهواً لهذا السبب أو ذاك . أى أن حكم الأستاذ رجاء النقاش على الترجمة بالدقة والامتياز والروعة ليس له ما يسوغه من هذا الجانب أيضاً . على أن هذا ليس كل شيء في هذه القضية ، فإن رجاء النقاش لم يقرأ الأصل الإنجليزي الذي ترجم عنه الأستاذ عصام زكريا . وهذا ليس كلاماً من عندي ، بل هو كلامه في المقال الذي نحن بصدده . ومن ثمّ فإننا نسأل : هل يصح أن يصدر ناقدٌ حكماً على ترجمة من الترجمات دون أن يقوم بالمقارنة بينها وبين الأصل ؟

الحقيقة أنني لا أدري كيف وقع ذلك من الأستاذ النقاش ، الذي أحرص على قراءة ما يكتب لما يتضمنه من مسائل تثير الفكر والوجدان ، رغم اختلاف الموقف الفكري بيننا في بعض الأحيان .

والمرجو ألا تغلبنا اعتبارات المجاملة أو التشجيع أو الانفاق في التوجه الفكرى على أنفسنا فتدفعنا إلى إصدار مثل هذا الحكم الجزاف ، فإن الكلمة أمانة ، وما دفعنى إلى هذا الكلام إلا رغبتى فى أن تظل صورة النقاد ثابتة متماسكة فى أعين القراء لا يعترىها اهتزاز .

ثانية هذه القضايا التى أثارها مقال الأستاذ النقاش قوله عن « عار » تسليمه نسرین إنها رواية ساخنة وجريئة وشجاعة ، وإنها مثل من الأمثلة العالية على ذلك الأدب الغاضب من أجل قضية إنسانية هى قضية الصراع الطائفى بين المسلمين والهندوس فى بنجلاديش .

والحق أن الرواية تظلم المسلمين فى بنجلاديش ظلماً شديداً ، إذ تلتصق بهم كل ما يخطر وما لا يخطر على البال من نقائص ، وتصورهم وكأنهم وحوش آدمية : فهم يقتلون الهندوس ، ويغتصبون نساءهم ، ويدمرون معابدهم ، ويحرقون بيوتهم ، ويسرقون محلاتهم . والأرقام التى تذكرها الرواية فى هذا السبيل أرقام رهيبه لا تقنع أحداً . ولو أن عشر معشار ما ادعته الرواية على المسلمين هناك قد وقع فعلا لكانت فرصة لآلة الإعلام الغربية الجهنمية لتضع المسلمين على السّفود وتشوى جلودهم حتى تنضج فتبدل بها غيرها ليدوقوا

العذاب من جديد ... وهكذا دواليك .

ومع ذلك فإن بعض السياسيين الهنود قد استغلوا الرواية في طمس جرائم الهندوس ضد المسلمين في الهند ، زاعمين أن مسلمي بنجلاديش هم الذين يعتدون على الهندوس .

ثم إن الكاتبة لم تدع روايتها تتحدث بنفسها عن ذلك ، بل النُّقُولُ والإحصاءات والأرقام المجردة هي التي كانت تتكلم . إن أية رواية هي عمل فني ، والعمل الفني غير البحث والمقال . وقد كان المفروض أن تخاطبنا المؤلفة من خلال الحوادث والشخصيات والحوار والوصف لا أن تجعل وسيلتها إلى ذلك النُّقُولَ والاقْتِباسات في المقام الأول . ولا يشفع لها في هذا أن تكون روايتها من النوع الذي يُطَلَقُ عليه « الرواية التسجيلية » كما ذكر الأستاذ رجاء النقاش ، إذ إن « الرواية » (تسجيلية كانت أو لم تكن) هي عمل فني قبل كل شيء . ومن هنا فإن القارئ يفتقد في « عار » الكاتبة البنجلاديشية هذه السخونة التي ذكرها الأستاذ رجاء . إنها في الحقيقة رواية فاترة !

وفضلا عن ذلك فكثير من حوادثها الرئيسية التي وجهت مسارها يفتقر إلى الواقعية . ويكفيني هنا أن أشير إلى ما زعمته الرواية من اقتحام بعض الشبان المسلمين بيت سورنجان بطل القصة الهندوسى

أثناء غيابه ، واختطافهم أخته مايا تحت سمع وبصر الأب العاجز طريح الفراش والأم الواهنة الضعيفة التي لم تستطع أن تصنع لابنتها شيئاً . لقد انطلق سورنجان ، بعد أن عاد إلى البيت وعلم بالحادثة ، يجوب شوارع المدينة هو وصديقه المسلم حيدر على الدراجة البخارية الخاصة بهذا الأخير ، بيد أنهما لم يعثرا لها على أثر . وبعد عدة أيام بلغَ الأسرةَ أن جثةَ تشبه مايا قد عُثِرَ عليها أسفل أحد الجسور . فماذا كان رد فعلهم ؟ لقد قرروا ألا يذهبوا للتحقق من الجثة . والسبب ؟ السبب هو أنهم يريدون أن يظلوا عائشين على أمل عودتها يوماً ، بخلاف ما لو ذهبوا ووجدوا أن الجثة هي جثة ابنتهم فإنهم عندئذ سوف يفقدون الأمل إلى الأبد !!! ثم بعد يوم آخر تتخذ الأسرة قرارا بالهجرة إلى الهند حيث تستطيع أن تعيش في أمان بين الهندوس من أمثالهم بعيدا عن أكلة لحوم البشر من المسلمين دون أن تخطر لأى منهم مايا على بال ، وكأن اختطافها قد مضت عليه بضعة عقود من الأعوام لا أيام معدودات !!! أيمكن أن يصدق أحد هذا؟ إنها البلاءة الفنية بعينها !

ويقول الأستاذ رجاء النقاش أيضاً إن الرواية تخلو من أية شبهة تشير إلى أن الكاتبة معادية للإسلام ، بل العكس هو الصحيح ،

فالكتاب دليل على أن صاحبه تفهم الإسلام على وجهه السليم في دعوته الأصيلة للرحمة والتسامح والدفاع عن الضعفاء والوقوف بجانبهم . وهذه هي القضية الثالثة ، ولا بد أن نذكر بالتحية أولاً الكلمة الجميلة التي أنصف بها الكاتب دينه ، تلك الكلمة التي تتم عن غيرة أصيلة على الإسلام ، الذي يستحق كل حب وإعجاب لعبقريته العظيمة ومبادئه الرائعة البديعة التي قلما نجد لها نظيراً في أى دين من الأديان أو فلسفة من الفلسفات ، وإن وُجِدَتْ فليس بهذا الحسن ولا بذاك الكمال .

لكن ليسمح لنا الأستاذ رجاء أن نخالفه فيما قاله عن حب تسليمه نسرين للإسلام وحسن فهمها له ، فالرواية تنحاز انحيازاً تاماً للهندوس وكل ما هو هندوسى ، وتسىء إلى المسلمين وتؤذيهم إيذاء شديداً ، ولا تستطيع أن تجد لهم ولو حسنة واحدة ، على حين أنها تعمل بكل وسيلة على التهوين من تعصب الهندوس ضد المسلمين في الهند وعدوانهم الإجرامى الفظيع عليهم . وهى تدعو إلى « قمع » الجماعات والأحزاب الإسلامية أينما كانت ، وتبدى ابتهاجها بما فعله العسكر فى الجزائر إثر نجاح جبهة الإنقاذ الإسلامية هناك فى الانتخابات التى عقدتها وأشرفت عليها الحكومة

المعادية لهذه الجبهة ذاتها . ليس ذلك فقط ، بل هاجمت المؤلفة الإسلام أيضا في حوار لها مع أحد الصحفيين الهنود نشرته إحدى الجرائد الهندية ، واتهمت القرآن الكريم بأنه متخلف عن العصر وأنه معاد للمرأة ... إلخ . ترى أهذا هو الحب والفهم اللذان يقصدهما الأستاذ رجاء النقاش ؟ ما كنت أظن أن الأمور يمكن أن تُقلَب ويُجَعَلَ عاليها سافلها على هذا النحو وتلك البساطة .

الحق أن هذا أكثر مما يحتمله الضمير . ومع ذلك فإن لتسليمة نسرین وغير تسليمة نسرین أن تقول ما تشاء ، وتعتقد ما تشاء . لكن هذا شيء ، وتبديل الحقائق شيء آخر .

وبالمناسبة ، فقد سمعت أن ترجمة الرواية قد صودرت ، وهو إجراء لا نحبه ، فالرد العلمي كفيل بإيضاح الحقائق ووضع كل شيء في نصابه ، والإسلام أقوى مما يتصور أى إنسان .

كذلك فقد سارعت حكومات الدول الغربية وسطت حمايتها على الكاتبة . وهذه الدول حرة فيما تتخذه من سياسات ومواقف . لكننا فقط نتساءل : هل كانت هذه الحكومات لتهيج وتموج على هذا النحو لو كانت تسليمة نسرین تحب الإسلام حقا ؟ إن هذه الدول هي نفسها التي أصيبت بالصمم والبكم عندما قدّم اليهود في

فرنسا الأستاذ رجاء جارودي للمحاكمة لا لشيء إلا لأنه كتب بحثاً علمياً تناول فيه إحدى المسائل التاريخية المحضة التي لا تمس عقيدة أحد أو تتناول على دين من الأديان ، بل كل ما قال الرجل وقدم عليه الأدلة العلمية المفحمة هو أن حكاية أفران الغاز التي يقال إن هتلر قد أحرق فيها اليهود هي مجرد أسطورة خلقها الصهاينة خلقاً بغية إحراز بعض المكاسب السياسية على حساب العرب والمسلمين . فما الذى يثير عواطف الرحمة فى قلوب الأوروبيين تجاه تسليمه نسرين لو كانت تحب دينها ، فى الوقت الذى نراهم يتنمرون فيه لواحد من أبناء جلدتهم وحضارتهم كان ولا يزال ملء السمع والبصر فى كل أرجاء العالم ، وذلك دون ذنب اقترفه ؟

وبعد ، فهذه كلمة عاجلة أردت أن أبين بها ما أعتقد أنه الحق فى القضايا التى أثارها الأستاذ رجاء النقاش فى مقاله المذكور. أما الدراسة التفصيلية لهذه القضايا والمدعمة بالأدلة والشواهد القاطعة فموضوعها الفصول التالية .

على أننى لا أحب أن يفوتنى توجيه الشكر هنا رغم كل شيء للأستاذ عصام زكريا ، إذ إن الصورة التى حصلت عليها عن طريق بعض الأصدقاء للنص الإنگليزى لرواية « العار » إنما أخذت من

نسخته التي تفضل بإعارتها لنا لهذا الغرض . وهؤلاء الأصدقاء هم
الأستاذ صلاح محمد أبو النجا (الباحث بالمجالس القومية
المتخصصة) ، والأستاذ عامر سلطان (الصحفي بالأهرام) ،
والأستاذ إبراهيم منصور (الصحفي بروز اليوسف) ، فلهم مني
كل الشكر والاعتراف بالجميل . كذلك لا بد من التنويه بالجهد
المشكور الذي بذله علاء الدين إبراهيم عوض في مراجعة تجربة
الطبع الأخيرة معي ، إذ نبهني إلى كثير من الأخطاء المطبعية التي
كانت قد فاتتني .

د . إبراهيم عوض
(آداب عين شمس)

الفصل الأول

تسليمة نسرين وموقفها من
الإسلام والمسلمين

وُلدت تسليمة نسرین عام ١٩٦٢م فی پاکستان الشرقية ، التي صارت تسمّى بعد انفصالها عن پاکستان الغربية بـ « بنجلاديش » . وكانت ولادتها فی مدينة ممنسج القرية من « دكا » (التي أصبحت عاصمة هذه الدولة) لأسرة مسلمة ^(١) ليس فيها ، كما تقول هي نفسها ، أحد متدين سوى الأم ^(٢) . وقد تخرجت تسليمة من كلية الطب واشتغلت طبية بعض الوقت ، ثم تركت هذا المجال ونذرت نفسها تماما للكتابة ، التي كانت تمارسها منذ الخامسة عشرة من عمرها .

وتكتب تسليمة القصة والشعر والمقال الصحفى ، ولها عدة كتب . وكثير من كتاباتها يدور حول المرأة والجنس ، وبهاجم الجماعات الإسلامية وكذلك القرآن الكريم ، الذى ترى أنه لم يعد يواكب العصر ومن ثم يحتاج إلى المراجعة ^(٣) ، وأن القوانين المستمدة منه تصادم التقدم وحرية التعبير ^(٤) .

وقد تزوجت تسليمة نسرین وطلّقت ثلاث مرات رغم صغر سنّها .

(١) انظر ترجمة رواية « العار » لعصام زكريا / دار الخيال / ١٩٩٦م / ١٦ (المقدمة) .

(٢) انظر الحوار الذى أجراه معها أنطون دو جودمار وترجمته حياة الشيمى / مجلة « إيداع » / أكتوبر ١٩٩٤م / ١١٩ .

(٣) انظر ترجمة رواية « العار » / ١٧ ، ١٩ (المقدمة) .

(٤) انظر الحوار الذى نشرته مجلة « إيداع » / أكتوبر ١٩٩٤م / ١١٩ .

وهى تهاجم الرجال دائماً وتحذّر منهم ، وتقرن بينهم وبين الكلاب
المسعورة ، وتتهمهم بأنهم مصابون بمرض الزهري . تقول :

حياتي استولى عليها رجل شيطاني .

إنه يريد أن يملك جسدي

كلما شاء .

وتقول أيضا :

إذا طاردك كلب

حذار

هذا الكلب مصاب بالسعار .

وإذا طاردك رجل

حذار

حذار

فهذا الرجل مصاب بالزهري (١) .

وهو موقف يدل على أن صاحبه امرأة غير طبيعية .

وقد هبت المظاهرات في بنجلاديش ضد تسليمه بسبب رواية

« العار » وبعض كتاباتها الأخرى التي تهاجم فيها الإسلام وتشريعاته ،

(١) ترجمة رواية « العار » / ١٧ - ١٨ (المقدمة) .

على حين رحّبت الهند الهندوسية والدول الغربية بالكاتبة وكتاباتهما ، واتخذ الهندوس فى الهند من الرواية حجة على أن المسلمين هم الذين يضطهدون الهندوس ، وسعدوا بتصريحاتها المعادية للقرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، اللذين لا يصلحان فى زعمها أن يكونا مصدرًا تُستمدّ منه القوانين فى الدولة الحديثة (١) .

وقد قدّمت تسليمة بسبب آرائها هذه للمحاكمة فحُكِمَ عليها بستين ، ثم أُلغى الحكم فى الاستئناف وأُفرج عنها مع ترك الحرية المطلقة لها لتذهب حيث شاءت ، فسافرت إلى السويد ، التى احتفت بها وكتاباتها (٢) . كما تُرجمت روايتها التى نحن بصددتها إلى عدة لغات آسيوية وأوروبية (٣) .

وقد صودرت رواية « العار » فى بنجلاديش ، كما صودرت ترجمتها فى مصر . ولستُ من أنصار مواجهة الفكر الخارج على الإسلام ، أو الذى ترى بعض الجهات أنه خارج عن الإسلام ، بهذا الأسلوب . وذلك لأكثر من سبب : فالإسلام ، أولاً ، دين قوى

(١) انظر ترجمة رواية « العار » / ٧ - ٨ - ١٩ (المقدمة) ، وحوار مجلة « إيداع » / أكتوبر ١٩٩٤م / ١١٣ .

(٢) انظر ترجمة الرواية / ٧ - ٨ (المقدمة) ، وحوار مجلة « إيداع » / أكتوبر ١٩٩٤م / ١١٣ .

(٣) حوار « إيداع » / ١١٣ ، وصحيفة « المسلمون » / الجمعة ٤ ربيع الأول ١٤١٧هـ - ١٩ يوليه ١٩٩٦م / ١ .

يستعصى على الهدم . إنه ليس بناء من زجاج هش ، بل هو جبل
باذخ لا يقدر أحد أن ينال منه منالا . ولو كانت المصادر والتعظيم هما
الأسلوب الأمثل لما وجدنا القرآن يسجل التهكمات والانتقادات التي
كان المشركون واليهود والمنافقون يشنعون بها عليه ، ولا الشتائم
والتجديفات التي كانوا يوجهونها لرب العزة ورسوله ، من مثل : « وإذ
قالوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، « وقالوا : إنما يعلمه بشر » ، « وقالوا :
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ، « ويقولون : أتأنا
لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ » ، « وقالت اليهود : يد الله مغلولة » ،
« قد سمع الله قول الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء » ، « ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن » ، « يقولون : لكن رجعنا إلى
المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ » . إن كتابات تسليمة نسرین وأمثالها
هي لون من المواجهة الفكرية ، فهل الإسلام عاجز عن هذه المواجهة ؟
إن مثل هذه الإجراءات تتيح للمبطلين والمتقولين أن يدعوا على الإسلام
ما ليس فيه ويتهموه بأنه يخنق الفكر ويستعيض عن الحوار بتكميم
الأفواه . ويظن حينئذ من لا يعرف ديننا العظيم أنه دين ضعيف واهن
يستتر وراء المصادر والعقوبات . إن الله سبحانه يقول : « من شاء
فليؤمِّن ، ومن شاء فليكفر » ، ويقول سبحانه أيضاً : « لا إكراه في
الدين . قد تبين الرشد من الغي » .

وثانيا ، فإن أسلوب المصادرة والمحاکمة لا یؤتی عادة بالثمره المتبتغة ، فكل شیء یمكن أن یتم بالقسر إلا فی مسائل الفكر والشعور . وبالله علیكم كيف یمكن الاطمئنان إلى إیمان رجل أُجبر علی إعلان عودته عن كفره ، علی حین أن أفكاره وآراءه ومشاعره وعواطفه العدائیه نحو الإسلام لا تزال تعشش فی ذهنه وفی قلبه ؟ دعوا الناس تختار لنفسها ما تشاء ، فهكذا قال رب الناس . ولقد كان الله سبحانه وتعالی قادراً علی أن یخلقهم جميعا مؤمنین ، ولكنه لم یفعل ، وأقام علی العكس من ذلك كونه علی اختلافهم فی الأديان والمذاهب والأفكار والمواقف ، بالضبط مثل اختلافهم فی السحنة واللغة واللون والعرق والعادات والتقالید . فكيف نطن أننا نستطيع تبديل سنته جل شأنه ؟

وثالثا ، فمن شأن أسلوب العسف إثارة تعاطف قطاعات كبيرة من الناس مع من یصادر كتابه أو یقدم للمحاكمة . ذلك أنهم یرونه حینذاك إنسانا مظلوماً معتدى علیهِ فی حرته وأمنه . ومن جهته هو ، فإن التضييق علیهِ سیدفعه فی الغالب إلى العناد ، بل سيجعله ينظر إلى نفسه علی أنه ضحية من ضحايا الاستبداد والقهر . وبكل تأكيد ليس هذا هو ما یریده الذين ینتهجون أسلوب المصادرة والمحاکمة .

ورابعا ، هل یقبل المؤمنون بالله سبحانه أن یعاملهم أعداؤهم حینما یكون السلطان فی أيديهم بنفس الطريقة ؟ أَلن یقولوا حینئذ إن هذا

استبداد وطغيان وتدخل بين العبد وربّه ؟ سيقولون هذا ، ولهم كل الحق فى أن يقوله . فلماذا يكرهون ذلك لأنفسهم ويريدون أن يعاملوا به غيرهم ؟ إن أحداً لا يجهل أن كثيرا من أعداء الإسلام المتربعين فى دسوت الحكم ينتهجون ، فى محاربة أتباعه الذين يريدون أن يتخذوا منه منهاجا لحياتهم ، أساليب غاية فى الشناعة والكر من قتل واعتقال وتعذيب ... إلخ . لكن الإسلام أسمى من هذا وأعف وأطهر ، وأعطف على الخلق وأحرص على توفير الحرية والكرامة لهم . وإذا تمسك الغيرون على الإسلام بمبادئه العظيمة وقدموه للناس بالصورة التى ينبغى أن يقدم بها كان ذلك ادعى إلى أن يحب الآخرون هذا الدين الجدير بكل حب وإعزاز . على أننا ندعو أيضاً من يضطهدون الإسلام والمتمسكين به إلى نبذ نهجهم الاستبدادى الغشوم . ينبغى أن ندع الزهور كلها تتفتح وألا يحاول كل فريق أن يعصف بالآخر ، فإن الدنيا تتسع للجميع ، والحياة أقصر من أن نضيعها فى صراعات لا تخدم الوطن بل تجلب له الخراب والتخلف وتحيل الدنيا إلى نكد وشقاء . وبالمناسبة ، فليست مصادرة الكتب مقصورة على الكتب التى تهاجم أو يُظن أنها تهاجم الإسلام ، بل هناك كتب إسلامية كثيرة تعرضت وتعرض للمصادرة كذلك ، وإن كانت المصادرة هنا أيضا لم تمنع الناس من الحصول عليها وقراءتها والتأثر بها .

ثم ها هو ذا مثلاً كتاب الدكتور طه حسين « فى الشعر الجاهلى »

قد أُعيد طبعه مرتين هذه الأيام . كذلك أُعيد طبع « الإسلام وأصول الحكم » لعلى عبد الرازق ، و « من هنا نبدأ » لخالد محمد خالد ، و « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ ، رغم مصادرة السلطات هذه الكتب حين صدورها لأول مرة . فهل نتعظ من هذا ونعرف أن المصادرة لا تجدى ، وأنها إن نجحت فلبعض الوقت ليس إلا . فضلا عن أن هذه الكتب وأمثالها كانت تُتداول في السرّ أثناء سريان المصادرة تداولاً واسعاً ويسعى الناس لاقتنائها بأغلى الأسعار . ذلك أن كل مطلوب مرغوب كما هو معروف للناس كافة . وللعلم ، فإن رواية تسليمه نسرين مازالت معروضة عند باعة الصحف ، وقد نبّه قرارُ الحظر الناس إليها وجعلهم يهتمون بها من جديد رغم مضي أربع سنوات على صدورها للمرة الأولى .

ومع ذلك فإن المؤلفات التي تصوّر الآن على أنها شهيدة من شهداء حرية الضمير والوجدان والتي تتخذ رمزا على التقدمية والاستنارة تدعو بكل قوة إلى قمع الجماعات الإسلامية في كل مكان ، وتبدي ارتياحها وبهجتها للعسف والطغيان الذي تعاملت به حكومة الجزائر العسكرية مع جبهة الإنقاذ الإسلامية عقب نجاحها الساحق في الانتخابات التي نظمتها هذه الحكومة نفسها^(١) . فهل هذه هي

(١) انظر ص / ١٨٥ من الرواية .

التقدمية والاستنارة التي تصدّع هذه الكاتبة وأشياؤها رؤوسنا بها ؟ أم إنه لا ينبغي أن يتمتع أحد بالحرية إلا هي ومن يرافئونها على أفكارها ومواقفها ؟ إنها تدعو إلى تحريم الأحزاب السياسية المؤسسة على أفكار دينية ، مع أن هذه ليست هي الديمقراطية كما نعرفها ، إذ إن الديمقراطية تعنى ترك الناس يختارون لحكمهم من يريدون ، سواء كانوا كفارا أو مؤمنين ، متمسكين بالدين أو ليسوا كذلك . أتري لا يصلح للحكم إلا من يكره الإسلام ويريد تنحيته عن الحياة ؟ لا نكران أنه يوجد بين المتصدرين للصفوف فى الجماعات الإسلامية كثير من الذئاب والثعالب والأفاعى . لكن هذا لا ينبغي أبدا أن يكون مسوغاً لتحريم قيام أحزاب دينية ، بالضبط مثلما لا ينبغي تحريم قيام الأحزاب السياسية غير الدينية لأن كثيراً من رجالها دجاجلة أفاقون . فلنترك الناس تحكم بنفسها على البضاعة السياسية الموجودة فى سوق الأحزاب ، ولسوف يخطئ الناس الاختيار كثيرا قبل أن يتعلموا كيف يحسنون تقويم الأشخاص والأحزاب والجماعات . وهذه هى سنة الحياة ، إذ لم نسمع بأمة استطاعت أن تكتسب الوعى السياسى طفرة واحدة ، بل لا بد من دخولها ميدان التجربة ، وهذا يتطلب وقتا . أما الدعوة إلى الاستبداد بحجة حماية الحرية فذلك خداع حقير لا يلجأ إليه إلا الكارهون للحرية ، وإن تشدقوا بها أمام الناس مكرا منهم وخبثا .

وتدعى تسليمة نسرین أنها كتبت روايتها دفاعاً عن هندوس بنجلاديش، الذين تبالغ أمقت المبالغة في الحديث عن عدوان المسلمين عليهم، إذ تقول إن الآلاف المؤلفة من منازلهم ومعابدهم ومحلاتهم قد أحرقت أو هُدمت، بل إن قرى لهم بكاملها قد محيت من على وجه الأرض محواً. كما أنها تصور المسلمين وحوشاً كاسرة لا يُشبع نهمتها أو يطفى غلتها إلا اغتصاب النسوة والبنات الهندوسيات. أهذا معقول؟

يمكن أن ينسى المسلمون بهذه البساطة تقاليد الحياء والعفة التي مازالت رغم كل شيء سائدة بينهم فلا يصبح لهم من هم إلا اختطاف نساء الهندوس من الشوارع ومن البيوت والعدوان عليهن بتلك الوقاحة التي تزعمها الرواية؟ ثم إن المسلمين الآن أضعف وأهون وأذل من أن يُقدموا على هذا العدوان. إن هذا العدوان يلائم الصهاينة والهندوس والصرب وسائر الأوروبيين، ولكنه لا يتفق مع التركيبة النفسية للمسلمين، الذين يصدق عليهم بوجه عام في العصر الحديث عنوان رواية ديستوفسكى «المستدلون المهانون». إن المسلمين يُصفعون على أقفائهم ويركلون في أدبارهم في كل مكان، بل يُقتلون وتغتصب نساؤهم وتشق بطون الحوامل منهن حيثما تكون مواجهة بينهم وبين أحد من أعدائهم، فلا يردون الإهانة بمثلاً. فكيف نصدق ادعاءات تسليمة نسرین ضد المسلمين في بنجلاديش؟ ثم إذا كانت تتحلى حقاً بهذه الرحمة التي تظهرها في كتابتها للهندوس فلماذا لم تبدها

نحو مسلمى الهند ، الذين يتعرضون لأبشع عمليات التنكيل والبطش والإرهاب والتقتيل على أيدي عبّاد البقر الوثنيين ؟ ولماذا لم يثر ضميرها المرهف لمآسى المسلمين فى البوسنة والهرسك وفلسطين وبورما وتايلاند والفلبين والصين مثلا ؟ أم إن شفقتها وقف على الهندوس وحدهم ؟ إن هذه الكاتبة الساذجة تظن أن الناس ستظلى عليهم الخدعة السخيفة التى أقامت عليها روايتها ، وهى أن المسلمين ليسوا سوى مخلوقات متوحشة لا قلب لها ولا أخلاق ، بخلاف الهندوس ، الذين تُبرِزهم فى صورة ملائكة لا تعرف الشرّ بل لا تستطيع أن تدفع الشر عن نفسها (١) . إن هذه بلاهة فكرية وفنية ، والعياذ بالله ! فكيف يقال إن الرواية لا تسيء للإسلام والمسلمين ؟ لقد اتخذ بعض السياسيين الهندوس فى الهند من الرواية حجة على أن العدوان إنما يقع من المسلمين على الهندوس فى بنجلاديش لا على المسلمين من الهندوس فى الهند . كما أثلج صدورهم ما قالته الكاتبة فى حق القرآن الكريم ، إذ اتهمته بالتخلف عن مواكبة العصر وادعت أن القوانين المستمدة منه وبال على الدولة الحديثة . ومع ذلك يقول بعض من يدافعون عن الكاتبة وروايتها إنها تفهم الإسلام أحسن مما يفهمه منتقدوها ، وإنها

(١) وقد دفع هذا التحيز الفجّ إحدى الصحفيات بجريدة « الدستور » إلى كتابة مقال غاضب تفضح فيه كراهية تسليمه نسرين للإسلام ، تحت عنوان « المسلمون أشرار ، والملاحدون أبرار . اشمئنى يعنى ؟ » (الدستور / الأربعاء ٣ يولييه ١٩٩٦م / ١٠) .

تطلق في آرائها ومواقفها من مبادئه العظيمة ^(١) . ترى كيف يكون هجوم شخص ما على الإسلام واتهامه للقرآن بالتخلف عن مسايرة ركب العصر واستماتته في محاربة شريعته دليلا على قوة حبه للإسلام وعمق فهمه له وشدة وفائه لمبادئه ؟ إن هذه معادلة مستحيلة .

وأحسب أن من بين الأهداف التي كانت وراء تأليف هذه الرواية الرغبة في تحويل الأنظار بقدر الطاقة عما كان يجري آنذاك في البوسنة والهرسك . لقد كشفت الحضارة الغربية هناك عن سواتها القبيحة المنتنة المدوّدة فأراد « الوحوش الشقر » (وهو الاسم الذي كان يطلقه أجدادنا على الأوروبيين) أن يرموا المسلمين بدائهم وينسلوا ، فكانت هذه الرواية ، التي تفتري الكذب والباطل على مسلمي بنجلاديش . إننا لا ننكر أنه كان هناك ردّ فعل ضد عدوان الهندوس على المسلمين في الهند ، ذلك العدوان الذي تجاوز كل حدّ والذي كان يتم تحت سمع الحكومة وبصرها ، وبمباركتها أيضا . ولقد فاض بالمسلمين الكيل فلم يستطيعوا السيطرة على مشاعرهم وهم يرون إجرام عبّاد البقر لا يتوقف ولا يرعوى ولا يخجل . صحيح أن الإسلام يكره إيذاء أهل الذمة وينحاز إلى صفوفهم ماداموا لم يرتكبوا ما يسوّغ هذا الإيذاء . لكن الإسلام

(١) انظر مقال رجاء النقاش في « أهرام » الانين ٢٤ يونيه ١٩٩٦م بعنوان « الغاضبة » /

يكره أيضا أن يصبح المسلمون « مَلْطَشَة » لكل من هب ودب . فإذا قام المسلمون في بنجلاديش وردوا على جرائم الهندوس ضد إخوانهم في الهند ، فبأى حقّ ندينهم في الوقت الذي نغض فيه الطرف عن بواعث هذا الغضب وأسبابه ؟ وبأى منطق تهوّل المؤلف في وصف ما صنعوه وتكتّم ما اقترفه أولئك الذين دفعوهم بوقاحتهم وإجرامهم إلى ذلك الغضب ؟

لقد أحسن الأستاذ رجاء النقاش في تجليته لموقف الإسلام من الأقليات التي تعيش تحت جناحه ، إذ قال : « ليس في الإسلام قسوة ولا عنف ولا تطرف ، بل فيه شجاعة وشهامة ونفوس كبيرة واحترام واهتمام بكل خلق الله ، خاصة لو كانوا ضعفاء ومحتاجين إلى العون والمساندة . الرسول الكريم ﷺ يقول ما معناه : « ما دخل الرفق في شيء إلا كان زينة له وفضيلة فيه » . وعندما دخل عمرو بن العاص مصر فاتحا لها سنة ٦٤٠ ميلادية بعد انتصاره على الرومان ، الذين كانوا يضطهدون أهلها أشد الاضطهاد ، استدعى عمرو بطيريك الأقباط الأكبر الأنبا بنيامين من صومعته التي كان هاربا إليها في الصحراء من بطش الرومان وتحدث معه وناقشه ، ثم أعطاه وثيقة بأمان له ولسائر الأقباط وقال له : « عدْ إلى كنيستك وباشر أمور دينك وأنت آمن حرٌّ » . ويذكر المؤرخون بعد ذلك أن عمرو بن العاص قال أمام الجميع

إنه لم ير في حياته رجلا من رجال الدين المسيحي أظهر وأتقى وأخلص قلبا وأشد مهابة من البطريرك بنيامين^(١) . والتاريخ الإسلامي ملئ بهذه النماذج الرائعة في التسامح الديني العظيم . ومن ذلك ما هو معروف عن العرب في الأندلس من حمايتهم لليهود واحترامهم لهم حتى ظهر بينهم مفكرون وعلماء بارزون مثل موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤ م)^(٢) . وكان الأخطل الشاعر العربي المسيحي هو شاعر الدولة الأموية ، وكان شديد القرب من ملوك هذه الدولة ، يحظى منهم بالرعاية الكاملة والاحترام الكبير . بل لقد كان مدللا ، وكان موضعه من ملوك بني أمية سابقا ومتقدما على غيره من الشعراء المسلمين^(٣) . وكان طبيب هارون الرشيد مسيحيا . وعندما سئل الرشيد في ذلك قال ما معناه : إن سلامة قيادة الدولة فيها سلامة للدولة ولأموار

(١) كنا نحب أن يذكر الأستاذ النقاش هؤلاء المؤرخين والمواضع التي ورد فيها هذا الكلام من كتبهم ، مع إيراد نصه بالضبط .

(٢) وحتى كان منهم أيضا وزراء أذلوا المسلمين وخانوا الأمانة التي وُكلت إليهم حتى ضاق صدر الرعية بهم واشتكوهم إلى من استوزروهم فلم يشكُوهم . وعندئذ فاض مرجل غضبهم فثاروا وتولوا بأنفسهم وضع الأمور في نصابها وقتلوا الوزير الخائن الذي كان قد قتل ابن من استوزره . وذلك الوزير الخائن هو ابن النغرالة ، الذي تولى الوزارة للملك جوس بن زيرى وابنه باديس في الأندلس (في القرن السابع الهجري) .

(٣) ذلك أنه كان يقوم لهم بالمهمات القذرة التي كان يتورع عنها المسلمون المتحرجون ، مثل سب أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المسلمين . وهذا الطبيب المسيحي هو الذى يرعاني ويضمن سلامتى ، فهو يخدم الدولة الإسلامية رغم أنه مسيحي .

كل من يفرض على الإسلام والمسلمين شيئاً من التطرف وعدم التسامح فهو بعيد كل البعد عن مبادئ الإسلام الصحيحة ، فلا الإسلام يقبل التطرف والعنف ، ولا المسلمون الحقيقيون يقبلون ذلك أو يرضونه لدينهم ولأنفسهم ، إلا إذا كان الأمر حرباً صريحة ضد عدو لهم يحمل السلاح فى وجههم ويستبيح دماءهم ويحاول إلحاق الأذى بهم . وما نجح الإسلام فى الانتشار السريع إلا بتسامحه ومراعاته للمبادئ الإنسانية الرفيعة .

هذا هو الإسلام فى حقيقته : سماحة ونبيل ومساعدة للناس جميعاً حتى لو كانوا غير مسلمين ما داموا يعيشون فى سلام داخل البلاد التى يحكمها المسلمون ويمثلون الأغلبية فيها » (١) .

والحق أن الإسلام هو هذا وأكثر من هذا . ونستطيع أن نورد نصوصاً أخرى كثيرة توضح عظمة هذا الدين وعبقريته فى مجال التعامل مع الأقليات التى تحيا فى كنفه وتخضع لسلطانه . من ذلك قوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين

(١) من مقال « الغاضة » فى « أمراء » الاثنين ٢٤ يونيه ١٩٩٦م / ص ٢٠ .

ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » ، « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتُقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين » ، « يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله . إن الله خبير بما تعملون » ، « اليوم أُحلّ لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ، وطعامكم حلّ لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن مُحصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » ، « فاعفُ عنهم واصفح . إن الله يحب المحسنين » . ويقول الرسول ﷺ : « من ظلمَ معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيبِ نفسه فأنا حجيجُه يوم القيامة » . وكان الرسول ﷺ جالسًا ذات يوم فى المدينة عندما مرت به جنازة يهودى فقام فسأله الصحابة فى ذلك مستغربين ، فكان رده عليهم : « أليست نَفْسًا ؟ » . وحينما قدم وفد الحبشة على المدينة تركهم عليه الصلاة والسلام يمارسون زفَنهم فى المسجد ... وهكذا . لكن ليس معنى هذا أن يذلل المسلمون للأقليات فى بلادهم فيسكتوا عن خيانة الخائنين منهم أو يخضعوا لتحكماتهم التى يبدونها فى بعض الفترات التاريخية عندما يشيرون من

الحكومات الإسلامية التي يعيشون في كنفها ضعفا ، إذ معنى هذا أن تتحكم الأقلية في الأغلبية ، وهو ما يناقض أصول الديمقراطية مناقضة تامة .

ومن الناحية الأخرى لا بد أن تعامل الأقليات المسلمة في الدول المختلفة بنفس التسامح الذي يديه المسلمون نحو الأقليات الدينية وغير الدينية في بلادهم . أما انتقاد المسلمين على الهفوات التي تقع من بعضهم مخالفةً لسياسة الدولة العامة نحو الأقليات وتضخيمها لإثارة الفتن ، والخرس في ذات الوقت تجاه التنكيل والاضطهاد الفاحش اللذين تتعرض لهما الأقليات الإسلامية في كثير من الدول فهو موقف لا إنساني ينبغي أن نعرّيه ونفضحه دون تهيب أو وجل . إن الإسلام عزة وكرامة . وإذا كان المسلمون مطالبين بالحفاظ على كرامة الأقليات في بلادهم ، فكيف يُقبل أن يفرطوا هم أو يُجبروا على التفريط في عزتهم وكرامتهم ؟

وسوف أضرب هنا بعض الأمثلة على الطريقة التي يعامل بها المسلمون في بريطانيا أم الديمقراطية : إنهم مثلا لا يستطيعون أن يؤذّنوا للصلوات جهرة ولا حتى لصلاة الجمعة الأسبوعية ، إذ لا يجوز أن يتجاوز الأذان جدران المسجد ، على حين تضرب الكنائس نواقيسها للصلوات في أى وقت ولأى مدى زمني . كذلك فالقانون البريطاني

لا يسكت على المسلم الذي يتزوج بأكثر من واحدة . أى أنه حتى فى نطاق الأحوال الشخصية فإن المسلم فى بريطانيا لا يتمتع بالحقوق التى تكفلها له تشريعات دينه . كما أن الدولة هناك ، فى حدود علمى ، لا تسوى بين المسلمين والنصارى فى حق الحصول على إجازة فى الأعياد الدينية . فإلى الأقليات المسلمة تنعم بنصف ما ينعم به غير المسلمين فى البلاد الإسلامية بوجه عام ، وإلى الأقليات الإسلامية تجرد من أبناء البلاد التى يعيشون فيها من يدافع عنهم بالحقّ مثلما يتطوع بعض أبناء المسلمين فى البلاد الإسلامية للدفاع عن غير المسلمين بالحق أحياناً وبالباطل فى كثير من الأحيان !

هذا ، وقد تكررت فى رواية تسليمة نسرین الإشارة إلى استقلال بنجلاديش عن باكستان . والذين لا يعرفون الأمور سوف يظنون أن باكستان هى ، مثل إنجلترا وفرنسا وهولندا وإيطاليا والبرتغال واليابان ، دولة استعمارية ، وأنها كانت تحتل بانجلاديش . وهذا خطأ بواح ، فليست باكستان دولة استعمارية ، وهى لم تحتل بنجلاديش فى يوم من الأيام ، بل كانت الدولتان عبارة عن دولة واحدة هى دولة باكستان ، وكانت بنجلاديش تسمى « باكستان الشرقية » ، أما باكستان الحالية فكانت تسمى « باكستان الغربية » . وقد ظهرت هذه الدولة إلى الوجود سنة ١٩٤٧ م حينما قُسمت شبه القارة الهندية إلى دولتين : دولة

هندوسية فى أساسها هى دولة الهند ، ودولة مسلمة فى أغلبها هى دولة باكستان . والسبب فى هذا التقسيم هو الصعوبة التى كان المسلمون يجدونها فى التعايش مع عبّاد البقر الهندوس فى دولة واحدة ، وذلك بسبب ضيق العطن والتعصب الوحشى عند أولئك الوثنيين ، الذين كانوا يصطدمون دائما بالمسلمين من جرّاء أكلهم لحم البقرة ، التى يعبدونها هم . وعندئذ اضطر المسلمون اضطراراً إلى المطالبة بالانفصال ، الذى انطلقت الدعوة إليه أول ما انطلقت من بلاد البنغال (بنجلاديش حالياً) .

والذى ينظر إلى خريطة شبه القارة الهندية سوف يلاحظ أن الباكستانيين كاننا قسمين متباعدين ، فباكستان الشرقية تقع فى شمال شرق الهند ، والغربية تقع فى شمالها الغربى ، وتفصل بينهما مسافات شاسعة . وكان هذا أحد العوامل المضادة للوحدة بين القسمين . وثمة عامل آخر يتمثل فى أن باكستان الشرقية لم تكن تخظى من الحكومة المركزية ، التى كان مقرها فى القسم الغربى ، بنفس الاهتمام الذى كان يناله ذلك القسم ، مما أوغر الصدور وخلق الحزازات . وهذا الخطأ هو مسؤولية باكستان الغربية ، التى كان ينبغى أن تعيد ترتيب الأمور وتقسّم الدخل والخدمات على أساسٍ عادلٍ حفظاً لوحدة البلاد واحتراماً لمبدأ المساواة ، الذى هو مبدأ إسلامى أصيل . وينضاف إلى هذين

العاملين عامل آخر ، وهو مطالبة باكستان الشرقية بأن تكون البنغالية هي لغتهم القومية . والحق أن وحدة اللغة هي أحد العوامل المهمة في حفظ وحدة البلاد ، وكان ينبغي على البنغاليين في القسم الشرقي من باكستان ألا ينساقوا في هذا الاتجاه الخطر . لكنهم للأسف تمادوا في هذا السبيل المعمق لأسباب الفرقة والاختلاف . وكانت الهند تراقب هذا كله ، وتشجع زعماء المعارضة في باكستان الشرقية على تحدى الحكومة المركزية ، وتنفع في النار حتى تزداد لهيبا وضراما . وهذا هو العامل الرابع .

وقد ساندت الهند زعيم المعارضة البنغالية الشيخ مجيب الرحمن ، وغزت جيوشها باكستان الشرقية حيث اشتبكت مع الجيش الباكستاني في حرب ضروس هُزم فيها الجانب الإسلامي هزيمة مهينة . وكان ذلك في عام ١٩٧١م . وعندما تطورت الأمور وأخذت تنذر بوخيم العاقبة عرض ذو الفقار على بوتو ، الذى كان حينها رئيساً لدولة باكستان ، على زعيم المعارضة البنغالية الشيخ مجيب الرحمن أن يتنازل له عن رئاسه الدولة لقاء عدم انفصال باكستان الشرقية . بيد أن مجيب الرحمن ركب رأسه وأصر على الانفصال . ومن يومها لم تستقر أحوال باكستان الشرقية ، ولم تستطيع أن تحل أيا من مشكلاتها التي كانت

تظن أنها ستختفى بمجرد انفصالها عن الدولة الأم . وهذه هي حقيقة الأمر باختصار (١) .

كذلك فإن الرواية تهاجم الجماعة الإسلامية في بنجلاديش متهمة إياها بأنها كانت ضد الاستقلال . تقصد ضد الانفصال . والواقع أن هذا الذى تعيبه المؤلفة على الجماعة الإسلامية إنما هو مبعث فخار لها ، لأن معنى ذلك أن هذه الجماعة كانت حريصة على وحدة البلاد . ونحن قد جربنا الوحدة مع سورية ، وذقنا مرارة الانفصال ، إذ كنا نريد أن تكون هذه الوحدة الصغيرة بداية لوحدة الشعوب العربية جميعا . ومن هنا نفهم ونقدر موقف الجماعة الإسلامية ، الذى تعيبه المؤلفة انحاقدة . والحق أنه لا يضيق بالوحدة إلا الخونة أو الأغبياء الذين

(١) اعتمدت فى كتابة هذا الجزء الأخير على التقارير والدراسات التالية ، وكلها منشورة فى مجلة « السياسة الدولية » القاهرية :

- ١ - « الأزمة السياسية فى باكستان » للدكتور إسماعيل صبرى مقلد (إبريل ١٩٧١م / ٢٢ - ٤١) .
- ٢ - « انعكاسات الحرب الأهلية فى باكستان » لعبد المنعم المشاط (أكتوبر ١٩٧١م / ١٤٨ - ١٥٦) .
- ٣ - « بنجلاديش والصراع الهندى الباكستانى » لنبية الأصفهاني (يناير ١٩٧٢م / ١٣٥ - ١٣٧) .
- ٤ - « تفاهية سيملا والمصالحة الهندية الباكستانية » لنازلى معوض أحمد (أكتوبر ، ١٩٧٢م / ١٤٩ - ١٦١) .
- ٥ - « الانكاسات الدولية لانقلاب بنجلاديش » لمصطفى علوى (أكتوبر ١٩٧٥م / ١١٦ - ١١٨) .

لا يرون أبعد من آنا فهم ، فالوحدة قوة ، والتفرق ضعف . ونحن الآن نستغرب أشد الاستغراب أن يطالب مثلا أهل الصحراء المغربية بالانفصال عن المغرب ، وتؤلنا أعظم الألم مؤامرت الصليبية العالمية لفصل جنوب السودان عن شماله ، ونرغب بفرع الأعيب الدول الغربية التي تهدف إلى تفتيت العراق ، فكيف يمكن أن نفرح بتفتت باكستان إلى دولتين ونعيب الجماعة الإسلامية التي كانت تعمل على بقائها دولة واحدة ذات بنية مرصوص ؟

كذلك فإن تسليمه نسرين تحاول أن تخدع القارئ بادعائها أن طائفة الهندوس في بنجلاديش هي طائفة فقيرة مستضعفة يأكل المسلمون حقوقها ويعتدون عليها دون وازع من ضمير فلا تستطيع أن ترد عن نفسها العدوان. ويكفى أن نذكر في هذا الصدد أن غالبية الإقطاعيين في بنجلاديش كانوا من الهندوس ، هؤلاء الذين تتباكى عليهم الكتابة اليسارية ، مع أنها لو كانت مخلصه لمبادئها السياسية لوجهت إليهم سهام انتقاداتها وكرهيتها . لكن بغضها للإسلام والمسلمين قد غطى على عينيها وعقلها وضميرها ومشاعرها وجعلها ترى الأمور مقلوبة رأسا على عقب .

وأخيرا ، فلماذا تكره تسليمه نسرين أن توصف دولة بنجلاديش بـ « الإسلامية » وأن يوضع اسم الله في أول الدستور البنجلاديشي ؟ هل تقدم المسلمون مرهون بحذف البسمة من دستيرهم وإزالة كلمة

« الإسلامية » من أسماء دولهم ؟ أرايتم إلى هذا السخف ؟ أهذه هي
الكاتبة التي تصوّر على أنها شهيدة من شهداء حرية الفكر ؟ وهل يصح
أن يقال إنها تنطلق في مواقفها من مبادئ الإسلام وإنها تفهمه أفضل
من يخالفونها في الرأي ؟

الفصل الثاني

البناء الفني للرواية

تدور أحداث الرواية على وصف وقائع الاضطرابات الطائفية في بنجلاديش عقب قيام الهندوس المتعصبين في عام ١٩٩٢م في الهند بهدم المسجد البابري بمؤازرة من المسؤولين هناك ومباركة من قوات الشرطة ، التي كانت واقفة تراقب ما يحدث من غير أن تكلف نفسها ولو مجرد التظاهر بأنها حاولت أن تفعل شيئاً تحول به دون وقوع تلك الجريمة الوحشية التي اقترفها أولئك الوثنيون من عبّاد البقرة الذين لا يكفون عن الاحتكاك بالمسلمين وإنزال أفضع ضروب الإيذاء بهم بغية القضاء عليهم أو على الأقل لترويعهم كي يتركوا الهند خالصة لهم يقدسون فيها البقر كما يشاؤون دون أن يزعجهم نداء التوحيد .

وتقع الرواية في ثلاثة عشر فصلاً يتحدث كل فصل منها عن أحداث يوم من ثلاثة عشر يوماً هي المدة الفاصلة بين بداية الاضطرابات وتقرير أسرة سودهاموى الهندوسية (التي تمثل محور الرواية) الرحيل عن البلاد إلى الهند ، حيث يشكل الهندوس الأغلبية الساحقة .

وتتكون أسرة سودهاموى منه ومن زوجته كيرونموى وابنه سورنجان وابنته مايا . فأما سودهاموى فكان يشتغل طبيبياً ، وكان موفقاً في البداية ، ولكن الأمور لم تظل مواتية كما كانت . ثم سقط مريضاً بالسكتة الدماغية أثناء الاضطرابات ، وإن كانت حالته قد تحسنت بالعلاج والتدريب بعض الشيء قبل أن يعتزموا الرحيل عن البلاد . وهو

رجل علمانى يرفض المعتقدات والعبادات الهندوسية . وأما الزوجة فربة بيت هادئة طيبة مخلصه لزوجها ، الذى كان قد كفّ عن ممارسة واجب الفراش معها ، ومُحِبَّةً لأسرتها متفانية فى خدمة أفرادها ومرضاتهم ، فى الوقت الذى لا تكاد ترى لنفسها حقاً على أحد منهم . وكانت مايا تشتغل بالتدريس وإعطاء الدروس الخصوصية ، لكن هذا الباب قد سُدَّ فى نهاية المطاف . ويقى سورنجان ، الذى كان عاطلاً عن العمل والذى كان يرر عدم محاولته البحث عن وظيفة يرتزق منها ويخفف العبء بها عن أسرته بأن الوظائف فى بنجلاديش حكر على الشبان المسلمين بحيث يستحيل أن يفوز هو أو أى هندوسى بواحدة منها رغم تفوقهم الكبير عليهم . وهو شاب يسارى ماركسى يجاهر بأفكاره الإلحادية ويرى تنحية الدين عن الحياة تماماً وتحويل المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية إلى مدارس ومستشفيات وملاجئ ومعاهد فنية ، ويذى ضيقه الشديد من عدم حذف « بسم الله » من دياجة الدستور البنجلاديشى ، ومن النص فيه على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، وتغطية الشيخة حسينة زعيمة رابطة عوامى شعرها بعد عودتها من تأدية فريضة الحج ، واهتمامها بمسلمى الهند وما يتعرضون له من تضيق وتنكيل على أيدي الهنادكة المتهوسين .

وترتبط أسرة سورنجان بوشائج طيبة مع عدد من الأسر المسلمة ، التى كانت تقوم بحمايتهم كلما حدثت اضطرابات طائفية فى البلاد .

ومع هذا فقد كان سورنجان يضمّر في أعماقه الريبة في هؤلاء الأصدقاء المسلمين والسخط عليهم ، ولا يتورع عن أن يصف المسلمين في بنجلاديش عموماً بالأُميين^(١) والخنازير^(٢) .

وتتابع الرواية أحداث الاضطرابات الطائفية في بنجلاديش ، ودكّا على وجه الخصوص ، مع التركيز على أسرة سورنجان ، التي لا يحدث لها شيء على الإطلاق سوى أن مايا خُطِفتُ في سادس يوم من الأيام الثلاثة عشر . واللافت للنظر أننا لا نعلم بشيء من تلك الأحداث إلا عن طريق المناقشات التي كانت تدور بين سورنجان أو أبيه وأصدقائهما ، وكذلك التقارير والإحصاءات الصحفية . أى أننا لا نرى بأعيننا ما تدعى الرواية وقوعه من حوادث عنف وقهر واضطهاد وسلب ونهب على هندوس بنجلاديش من جانب المسلمين بل نسمع بها مجرد سماع ، رغم أنها تُعدّ بالمئات بل بالآلاف كما جاء في الرواية مراراً . وهذا هو السبب في أن الرواية تفتقد الحرارة اللازمة لكسب تعاطف القارئ . وقد كانت الرواية ، كما ذكر الأستاذ المترجم في مقدمته لها ، تخلو في طبيعتها الأولى من هذه الإحصاءات وكذلك من النصوص

(١) illiterates . وقد ترجمها عصام زكريا بـ « الجهلة » (ص ١٢٤ - Taslima

(Nasrin , Lajja , Penguin Books , P. 104 .

(٢) swine . وقد ترجمها عصام زكريا إلى « الحقارة » كما أشرنا في موضعه من

التي تدعى الكاتبة أنها نقلتها عن الكتب والصحف ومواد الدستور البنجلاديشي ... إلخ ، حتى إنها لم تكن تتجاوز في الأصل سبعين صفحة . وهذا يعنى أن الرواية في حد ذاتها عاجزة عن إقناع القارئ بصدق ما تريد الكاتبة أن تدخله في روع القراء ، إذ إن أفراد أسرة سورنجان ، وهم يملأون ساحة الرواية كلها تقريبا ، كانوا يعيشون في أمان تام في عزّ المظاهرات والاضطرابات والاضطهادات الموجهة ضد الهندوس كما تقول الرواية ، وإن جاءت الكاتبة عند هدوء هذه الاضطرابات فجعلت بعض الشبان المسلمين يقتحمون بيت سورنجان في غيابه ويخطفون أخته ويفرون بها دون أن يستطيع الوالدان أن يدفعها عنها شيئا . وهو حدث مُقَحَّم إقحاما ، فقد تكرّر خروج مايا في معمعان القلاقل دون أن يقع لها أى شيء . كما كان معروفا أن أسرتها هندوسية ، فما الذى منع المسلمين طوال هذا الوقت من أن يخطفوها ؟ كذلك فإن سورنجان كان يخرج كل يوم دون أية مبالاة رغم تفجر الجوّ من حوله ، ويظل يدور في أرجاء المدينة هنا وهناك إلى وقت متأخر من الليل دون أن يصيبه أذى . وكان يناقش أصدقاءه الهندوس في الشارع في أحوال طائفتهم وينتقد الأوضاع في بنجلاديش دون خوف . وكثيرا ما جلس في شرفة الدار في اطمئنان وحرية كاملين ، مع أن الرواية تقول إن الهندوس كانوا يتحاشون بكل استطاعتهم الظهور أمام الجماهير المسلمة الهائجة .

وهنا لا بد من أن نتساءل : متى وأين أضافت الكاتبة إلى روايتها الصفحات التي جعلتها تزيد عن حجمها الأصلي مرتين ؟ هل تم ذلك في الغرب عندما رُوى أن تُترجم إلى بعض اللغات الأوروبية كما أتصور؟ إن أهمية هذا السؤال تكمن في أن الطبعة الأولى تخلو ، في ظني ، من الأرقام الهائلة الخاصة بالمنازل التي دُمّرت والمعابد التي أُحرقَت والرجال والأولاد الذين ضُربوا أو قُتلوا والنساء والفتيات اللاتي تعرضن للاغتصاب . فلو صحَّ ، كما يغلب على تصوري ، أن المؤلفة قد قامت بإضافة الصفحات المذكورة بعد أن تركت بنجلاديش فمعنى ذلك أنها حين كانت لا تزال في بلدها وبين مواطنيها لم تذكر هذه الإحصاءات المخيفة ، وعندما ذهبت إلى أوروبا أدخلتها في روايتها . فلماذا ؟ هل لأنها تعرف أنها لو كانت ذكرتها في الطبعة الأولى التي صدرت في بنجلاديش لاستطاع الناس تكذيبها في وجهها ، أما في الخارج حيث الجو المعادي للإسلام والمسلمين فإن أحداً لن يفكر في مراجعتها فيما تقول ؟ هذا مجرد سؤال أتركه لمن يستطيع الإجابة عليه عن طريق المقارنة بين النص البنغالي للرواية وترجمتها الإنجليزية مثلا .

إن الأستاذ رجاء النقاش يمدح رواية « العار » بحرارة فائقة ويدافع عن كثرة ما فيها من وثائق ونقولٍ من الصحف والكتب بأن هذه هي سمة « الرواية التسجيلية » ، قائلاً : « إن هذا النوع من الروايات الوثائقية أصبح ضرورة فنية كبرى في حياتنا المعاصرة ، فالقضايا التي

تمس الإنسان وتهدد حياته وأمنه وسعادته أصبحت كثيرة ومعقدة ،
والفنان صاحب الضمير لا يجد مفرا من أن يتحول إلى « مقاتل » بفنه
وقلمه ضد كل ما يصيب الإنسان بالمهانة والجماعة والخطر . والواقع
اليومى فى هذا المجال أصبح أقوى من أى خيال . ولذلك فالفنانون
الغاضبون من أجل الإنسانية يرفعون راية هذا الواقع قبل أن يعتمدوا على
خيالهم ، وهم يستخدمون مواهبهم فى تشكيل المادة الواقعية داخل
أعمالهم الفنية ليوقظوا الضمائر ويوجهوا أصحاب الأفكار المدمرة التى
تريد أن تغطى المصالح الخاصة بعباءة الدين أو بأى عباءة أخرى لأى
فكرة سامية ^(١) . ولا اعتراض لنا على ما قاله الأستاذ النقاش عن
« الرواية التسجيلية » أو « الوثائقية » . فلتكن الرواية ما تكون . المهم
ألا تستحيل هيكلها عظيميا هاما ، بل لا بد أن تكون جسما حيا مملوءا
حركة وحيوية وجاذبية . وهو ما لم يتحقق للأسف لرواية تسليمة
نشرين ، التى تقول المناقشات والإحصاءات والنصوص المقحمة فيها شيئا ،
وتقول أحداثها التى تقع تحت أعيننا وشخصياتها التى تتحرك أمامنا شيئا
آخر .

وفوق ذلك فإن الرواية تعانى من كثير من الأشياء غير الواقعية .
فعلى سبيل المثال تحاول المؤلفة أن توهمنا أن سورنجان لم يكن يعرف ،
وهو تلميذ بمدرسة القرية التى ولد فيها ، معنى كلمة « هندوسى » ،

(١) من مقال « الغاضبة » بالصفحة العشرين من صحيفة « الأهرام » / ٢٤ يونيو
١٩٩٦ م .

متصوراً أنها مجرد سباب ، مثل كلمة « كلب » أو « خنزير » (١) .
فهل يمكن أن يدخل في عقل أحد أن تلميذاً يجهل اسم ديانتته
والطائفة التي ينتمى إليها ؟ إن هذا هو المستحيل بعينه ، وبخاصة إذا
كان هذا الطفل ينتمى إلى أقلية دينية حيث تبلغ الحساسية في هذه
المسألة مدى جَدِّ بعيد .

كذلك فإن حوادث اغتصاب البنات الهندوسيات على يد المسلمين
تبدو عسيرة على الفهم والإقناع ، إذ لم يُعرف عن المسلمين في أى
مجتمع يشكلون فيه الأغلبية هذا الأمر الذى اشتهر به الأوروبيون
والصهاينة والوثنيون في مجاهل إفريقية ، والذى تدعى المؤلفة فى روايتها
أنه يشكل ظاهرة بارزة فى بنجلاديش ، وبالذات أيام الأزمات الطائفية .
إن تقاليد المسلمين تمنع من هذا منعاً شديداً . وإذا أُضيف إلى ذلك
أنهم فى العصر الحديث يجسّدون بوجه عام الضعف والهوان كان من
الصعب الشديد الصعوبة أن نصدق هذا الذى تقوله الرواية فى ذلك
الموضوع . وقد سألت صديقاً لى اشتغل فترة طويلة فى الهند وباكستان
عن ذلك الأمر فأكد لى ما قلته هنا تماماً . إن محاولة تلطّيح سمعة
المسلمين من هذه الناحية هى محاولة مقضى عليها بالفشل ، لأنها
تصادم المنطق والواقع ولا تقنع أحداً . فضلاً عن ذلك فإنها عيب فنى

فى الرواية ينال من قيمتها ويجعلها عديمة التأثير أو فاترته على أضعف تقدير .

كذلك هل يعقل أنه ، فى الوقت الذى تقول فيه الرواية إن سورنجان كان مهذّباً بالقتل وهو يجوب الشوارع فى فترة الغليان الطائفى وحوادث الاعتداء المتصلة على الهندوس وبيوتهم ومعابدهم ومحلاتهم وممتلكاتهم ، كان كل ما فكر فيه هو « أن يلعب الكرة ويتناول الفواكه ^(١) أو يركب الأخشاب ويلعب الكريكيت » ، وذلك بغية استعادة طفولته ، أو يكون كل ما يرغب فيه ، عندما كان يسمع وهو فى الشارع قائمة الكوارث التى أوقعها المسلمون المتعصبون بأبناء طائفته ، « هو ركل الأحجار فى طريقه كما اعتاد أن يفعل خلال طفولته » ؟ ^(٢) إن هذا يشبه ما يفعله أنور وجدى فى أحد الأفلام حين يضع يده بطريقة متلصصة فى جيبه حيث كان جالساً وسط مجموعة من الناس يشاهدون امرأة له علاقة بها تغنى ، وقد بدت فى عينيه نظرة مريبة . ونتوقع نحن المشاهدين أن يخرج من جيبه مسدساً ويطلق الرصاص على المغنية . ولكننا نفاجأ به يُخرج بنفس الطريقة المتلصصة منديلاً يمسح به عرقه . وهو ما يذكرنا بالمثل القائل :

(١) هذا ما جاء فى الترجمة ، وهو خطأ ، والصواب هو أنه ودّ لو يستطيع أن يلعب كرة القدم بشجرة من ثمار فاكهة الجمبورا لا أن يأكل الفواكه (P. 28) .

(٢) ص ٥٩ ، ٦٢ .

« تمخض الجبل فولد فأرا » !

كذلك هل يُعقل أن يقوم أحد في الثانية صباحا بالإعداد لمظاهرة من المظاهرات ؟ ^(١) إن هذه أول مرة نسمع فيها بتظاهرة تُرتبُ والناس نيام ! فهذا شيء غير واقعي بالمرّة .

وفي منتصف الرواية نجد مايا تبتدى استغرابها وضيقتها من مشاركة الأطفال الهندوس في تلاوة « الفاتحة » في طابور الصباح بالمدرسة وعدم مراعاة المسؤولين عن التعليم وضع صلوات من مختلف الأديان لتلاوتها مع « هذه السورة » ^(٢) . ووجه الغرابة في ذلك أن مايا كانت تحب شابا مسلما وتتوق إلى الزواج منه ، ولا تجد مانعا أن تنطق بالشهادتين وتصبح مسلمة وتغير اسمها الهندوسى ، بل إنها ذهبت وعاشت لبعض الوقت مع أسرة مسلمة كأنها واحدة منهم ^(٣) . فكيف بعد ذلك كله تنفر من « الفاتحة » هذا النفور الشديد ؟

ومما لا يمكن أيضا ابتلاعه أن زملاء سورنجان يأتون إليه ، ويجلسون معه وقتا طويلا وسط حطام الحجرة التى دمرها مختطفو أخته، ويتناقشون معه فى موضوعات شتى ، وكل هذا دون أن يلاحظ أحدهم

(١) ص / ١٠٤ . وهى مظاهرة كان يعدها شبان مسلمون ضد الهندوس .

(٢) ص / ١١٨ - ١١٩ .

(٣) انظر ص / ٤١ - ٤٣ .

ما أصاب الحجرة من تحطيم وتخريب أو يعلق عليه بشيء ، ثم يأتي بعد ذلك صديقه بولوك ويكون هو الوحيد الذى يتنبه لهذا ، وإن ظن أن سورنجان هو الذى كسر الأثاث فى لحظة غضب (١) . وغير واقعى ألا يلاحظ الجالسون فى الحجرة التخريب الذى لم يترك شيئا فيها على حاله ، وغير واقعى أيضا ألا يخطر لبولوك من أسباب هذا التخريب إلا أن سورنجان هو الذى فعل ذلك فى نوبة غضب ، ولا يفد على ذهنه أن يكون المتعصبون المسلمون هم الذين أحدثوا هذا ، مع أنه هو السبب الذى كان لا بد أن يخطر فى ذهنه للوهلة الأولى . ألم تنسب الرواية للمسلمين كل الشرور التى فى الدنيا ؟ فكيف فاته ذلك ؟ إن هذا ينافى الواقعية منافاة شديدة !

على أن هذا كله يهون بجانب ماهوآت ، إذ حينما سمع أهل مايا بعد اختطافها بعدة أيام أن جثة فتاة تشبهها قد عُثِرَ عليها طافية تحت أحد جسور دكا نراهم يقررون عدم الذهاب للتحقق من صاحبة الجثة . والسبب ؟ السبب هو أنهم يريدون ألا يفقدوا الأمل فى عودتها يوماً ، بخلاف ما لو ذهبوا ووجدوا أن الجثة هى فعلا لابنتهم ، إذ لن يكون أمامهم عندئذ إلا اليأس ، وهو ما لا يطيقونه ! ترى هل يمكن لأى عقل أن يهضم هذا التصرف الذى هو العتة بعينه ؟ لكن ذلك ليس

(١) انظر ص / ١٧٥ . وانظر أيضا ص / ١٨٨ - ١٨٩ .

نهاية هذه المسرحية العبيثية ، إذ لا يمر إلا يوم واحد ، هو اليوم الأخير في الرواية ، وتقرر الأسرة الرحيل عن بنجلاديش إلى الهند ، طبعاً دون مايا بل دون التفكير في شأنها ، وكأنها ورقة نقدية من فئة العشر تكات ضاعت من صاحبها فشغلته دقائق ثم نسيها ومضى في سبيله خفيف البال ناعم الضمير ! أيمن أن ينسى والدان فلذة من فلذات أكبادهما بمثل هذه البساطة ويرحلا عن بلدهما إلى غير رجعة دون أن يعرفا مصير ابنتهما ؟

والى جانب العيبين السابقين هناك عيب ثالث لا يقلّ عنهما فداحة . ألا وهو التناقض . فالرواية تقوم على أن الدين غير صالح لتكوين الأمم . وقد تكررت هذه الفكرة في عدة مواضع منها ، بدءاً من صفحاتها الأولى ، حيث تقتبس المؤلفة نقولاً من مولانا أبو الكلام آزاد ومحمد علي جناح واللورد ماونتباتن تؤكد ماتريد أن تقوله في هذا الموضوع ^(١) . لكن أحداث الرواية من أولها إلى آخرها تجرى في عكس هذا الاتجاه تماماً ، إذ تصوّر المسلمين في بنجلاديش على أنهم وحوش مفترسة تتلذذ بأكل لحوم الهندوس ^(٢) ، وأصحاب قلوب

(١) انظر ص / ٢٧ .

(٢) إحدى المظاهرات الإسلامية ضد الهندوس كانت نهتف : « دعونا نمسك بهندوسى أو اثنين . لتأكلهم في الصباح وفي المساء أيضاً » (ص / ٤٦) ، وكان المسلمين هم بعض أولئك الوثنيين الذين كانوا يعيشون في مجاهل غابات إفريقيا قديماً ويأكلون لحوم البشر !

صخرية ضَرَبَتْ عَلَى تَهْدِيمِ المعابد وإحراق البيوت والمحلات واغتصاب النساء والفتيات ... إلخ . إن هذا التناقض يضرب الرواية فى الصميم ويجعلها كأن لم تكن ، فهذا هو اختلاف الدين بين المسلمين والهندوس فى بنجلاديش يجعل الوحدة الوطنية بين الطائفتين مستحيلة أو تكاد ، على حسب ما تقول الرواية . فما العمل ؟ ولا يقل أحد إنها لا تتهم بالطائفية الا الجماعات الإسلامية وحدها ، فقد هاجمت أيضا المسلمين العلمانيين والليبراليين ووصفتهم بالتعصب والطائفية ، واتهمت المسؤولين فى الأحزاب السياسية المختلفة بالاشتراك فى اضطهاد الهندوس لإجبارهم على الهجرة إلى الهند . ولم ينبج من ذلك حتى الذين كانوا يتعاطفون بقوة مع الهندوس ، إذ قال عنهم سورنجان (بطل الرواية والمعبر عن آراء الكاتبة) إنهم يقتلون الهندوس بالليل ويتظاهرون بالشفقة عليهم نهارا ، كما أنكر على الشيخة حسينة اهتمامها بمصير المسلمين الهنود ، واتهمها بأنها تطعم الشعب البنجلاديشى مشاعر العداة للهند والولاء للإسلام (١) .

وتقول الرواية فى هذا الصدد أيضا (على لسان سورنجان المتحدث باسم المؤلفة كما بيّنا) إن « الدين (فى بنجلاديش) يفرض نفسه

(١) انظر ص / ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ - ١٨٣ .

بقوة على المناخ الاجتماعي ، ومن الصعب على شعوب العالم الثالث الفقيرة والضعيفة والمعذبة أن تهرب من قبضته الحديدية » ، ثم تسوق ما قاله ماركس في هذا الموضوع من أن « المشاكل التي تتعلق بالدين هي في الحقيقة تجلّ لأوجه النقص العملية واعتراض عليها أيضا . الدين هو تنهيدة المعذب والمضطهد ، قلب هذا العالم الذي لا قلب له ، وروح المجتمع الذي لا روح له . الدين هو أفيون الشعوب » (١) . فهل هذا صحيح ؟ هل صحيح أن الدين لا يجد مرتعا له إلا في المجتمعات المتخلفة ، وأن الدول المتقدمة لا تربطها بالدين أية وشيجة ؟

لقد دخل مثلا في دين محمد ﷺ بمكة الفقراء والأغنياء ، وعند تأسيس دولة المدينة ازداد المسلمون تمسكا بدينهم ، وكذلك عند توسع دولتهم وتحولها إلى إمبراطورية تمتد من الصين إلى المحيط الأطلسي ، وظل الحال هكذا حتى مشارف العصر الحديث . وهي فترة شهدت ازدهارا هائلا للمسلمين عقبه ركود وانحطاط ، مما يعنى أنهم في تقدمهم وتخلفهم على السواء كانوا مستمسكين بدينهم وينظمون شؤون حياتهم على أساس منه . وها هي ذى أمريكا قد قطعت في التقدم والغنى أشواطاً لم تكن تدور في خيال أحد من قبل ولا حتى في المنام والأحلام . ومع ذلك فإن مشاعر العداة هي التي توجه موقفها حيال المسلمين ، وهي مشاعر دينية في المقام الأول . ولا تنفرد أمريكا بهذا بل تشركها فيه دول أوروبا . وما موقف الغرب من مسلمي البوسنة

والهرسك منا ببعيد ! ليس ذلك فقط ، فهناك الصراع داخل المملكة المتحدة بين الأيرلنديين وبقية البريطانيين ، وهو صراع ديني . لا بل صراع مذهبي ، وهو أضيق أنواع الصراعات الدينية . أليس هو صراعاً بين البروتستانت والكاثوليك ، وكل من الفريقين ينتمى إلى النصرانية؟ ولماذا نذهب بعيداً؟ إن إسرائيل جارتنا قد قامت على أساس ديني . فهل يمكن أن تعدَّ إسرائيل ضمن الدول المتخلفة ، وهى فى عمومها دولة أوروبية زُرعت زرعاً فى قلب العالم العربى والإسلامى ؟ وهل كوبا، التى نبذت الدين واعتنقت الماركسية ومازالت تقبض عليها بأصابع متشنجة ، يمكن أن تصنّف ضمن الدول المتقدمة الغنية ؟ إنها فى الساقه من صفوف دول العالم المتخلفة .

ثم إن الإسلام لا يمكن أن يكون أفيونا للشعوب ، لأن الأفيون ليس إلا مخدراً يشلّ فاعلية الإنسان ومنفذاً يهرب عبره من واقعه المحيط دون أن يغير فيه شيئاً ، أما الإسلام فهو بلسم للقلب يحصنه ضد اليأس ويساعده على الصبر والصمود إلى حين انقشاع الظلمات المدلهمة . وهو صرخة فى وجه الظلم والاستبداد والفقر والتخلف والاستعمار والجهل والفرق والتواكل والعجز . والذين يفهمون الإسلام على عكس هذا هم المخطئون . يستوى فى ذلك المنضوون تحت لوائه والخارجون عليه والمعادون له من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى .

هذا ، ولا ندري سرّ اعتراض سورنجان (وهو أداة المؤلفة في التعبير عن أفكارها ومواقفها) على إضافة مسلمي بنجلاديش كلمة « بسم الله » إلى الدستور في سنة ١٩٧٨م وإعلان الإسلام ديننا قومياً للدولة ^(١) . إن هذين المطلبين لم تفرضهما بالقوة سلطة علوية ، بل طالبت بهما حركتان شعبيتان كما يقول هو نفسه ؟ فما وجه الخطأ إذن ؟ أليست هذه هي الديمقراطية ، التي يصرخ معظم شعوب العالم الثالث من نار الحرمان منها ؟

لكن الرواية ، للأسف والعار ، لا تبالي بالديمقراطية والحرية بالة ما دام الأذى يمس المسلمين . وهذا واضح في ابتهاجها بمنع الحكومة الجزائرية « الأصوليين » (كما تسميهم) من الوصول الى السلطة رغم نجاحهم الساحق في الانتخابات التي نظمتها تلك الحكومة نفسها . وكذلك هو واضح في أساها على عدم قمع الحكومة البنجلاديشية للجماعات الإسلامية ، التي تسميها بـ « الجماعات الأصولية والفاشية » ^(٢) . إن كاتب هذه السطور لا ينتمى لأي حزب سياسي أو أية جماعة دينية ، ومع ذلك فلا بد من احترام إرادة الشعوب حتى لو اختلفت أن يحكمها الشيطان ، أما القمع فهو سلاح العاجزين

(١) انظر ص / ٨١ .

(٢) انظر ص / ١٨٥ .

الذين ييغون فرض رأيهم بالقوة الغشوم رغم أنف الشعوب .

وهناك عيب آخر يسيء إلى بنية الرواية إساءة شديدة ، إذ يصطدم القارئ بين الحين والحين أثناء متابعته لأحداثها بوقائع تبرز أمامه فجأة دون مقدمات تمهّد لها من قبل عند تعرض الكاتبة للفترة التاريخية التي وقعت فيها هذه الأحداث بحيث لا يشعر باستغراب ودهشة حينما تذكر الرواية بعد ذلك أنها حدثت . فعلى سبيل المثال يفاجأ القارئ في الصفحة السبعين بالمؤلفة تتحدث عن تخفى سودهاموى طوال السنوات السبع السابقة على انفصال بنجلاديش في سنة ١٩٧١ م عن باكستان في كوخ من البوص تحت اسم إسلامى مستعار هو وزوجته ، وتذكر أنه قضى وقتاً طويلاً في معسكرات الاعتقال التي كان الباكستانيون يضعون فيها المطالبين بالانفصال من أبناء باكستان الشرقية (التي سميت بعد ذلك « بنجلاديش ») . ومبعث الغرابة في الأمر أن الرواية قد تحدثت قبل ذلك عن هذه الفترة نفسها في حياة سودهاموى وأسرته ، وليس في الكلام ما يشير إلى اعتقال أو مطاردات وتخفّ في الأكواخ ، بل على العكس من ذلك يفهم منه أنه كان يعيش في منزله ويمارس عمله كطبيب ، وأن كل ما كان يمارسه من نشاط سياسى لا يتعدى الاشتراك في المظاهرات (١) .

(١) ص ٣٦ / ٤٠ .

وفى الفصل الثالث من الرواية يأخذ سورنجان فى استرجاع حياته الماضية ويصل إلى أحداث اليوم السابق ، وهو ثانى أيام الرواية الثلاثة عشر ، وإذا بنا نفاجأ بأن أبناء الجيران كانوا يطاردونه فى الشارع فى ذلك اليوم صائحين : « أمسكوه ! أمسكوه ! » ^(١) ، مع أن الفصل الثانى قد حكى أحداث اليوم المذكور بالتفصيل ولم يرد فيه من بعيد أو قريب أن شيئا من هذا قد وقع .

وبالمثل نقرأ فى الفصل التاسع أن سورنجان كان كلما خرج من بيته يسمع شتائم بذيمة له ولأبناء طائفته جميعا ^(٢) ، مع أن أحداث الأيام الثلاثة عشر ، وبخاصة ما يتعلق منها بخروجه من البيت وتطوافه فى شوارع المدينة ، مذكورة بتفصيل شديد ، وليس فيها أن أحداً كان يتعرض له بأذى .

إن هذه الأشياء تصيب بناء الرواية بالتفكك والخلل . وهى تدل على أن المؤلف لم تحكم تخطيط عملها ، بل ربما لم تصمم له تخطيطاً أصلاً وتركت قلمها يجرى فوق الورق على هواه . وليس هذا من الفن فى شيء ، فليس الفن هو تحبير الورق والسلام ، وليست القصة مقالا أو دراسة لا يهمننا منها سوى الفكرة والعرض الواضح

(١) ص / ٨٣ .

(٢) ص / ١٨٨ .

واللغة السليمة ، بل هي عمل فنى له أصوله ومقتضياته . وواضح أن قلم تسليمة نسرین ليس ضليعا فى تقنية القصّ وأنه يجهل الفرق بين البيانات السياسية والمنشورات التحريضية وبين كتابة القصص والروايات .

ومما يعيب الرواية أيضا خلوها من وصف البيوت والشوارع والأسواق والمحلات ودور العبادة ، والسماء والأنهار والقوارب ، والناس والأزياء ، والحافلات والسيارات والدراجات . إن الرواية بهذا الشكل تبدو وكأنها قائمة وسط الفراغ : لا حسّ ولا حركة ولا رائحة ولا لون ولا شيء . إن مما يميز الفنان رهافة حواسه واهتزازها لأقلّ شيء حوله . أما تسليمة نسرین فكأنما قد حيل بين جوارحها وبين الأشياء . إن جانبها كبيرا من عبقرية نجيب محفوظ القصصية مثلا تكمن فى لوحاته الوصفية التى تنتفض بالحياة والحركة فى معظم رواياته ، وذلك على عكس بعض روايات الفترة الأخيرة ، مثل « رحلة ابن فطومة » ، التى نفتقد فيها إلى حد كبير هذه اللوحات . إننا إذ نتجول معه فى دار الحلبة مثلا (وهى إحدى البلاد التى زارها قنديل بطل هذه الرواية) لا نرى سيارات ولا قطارات أنفاق بل كثرة من الهودج الذاهبة والآتية . وهو حين يصف الشوارع والمباني والفنادق يسوق كلاما موجزا عاما كأنه يكتب كتابا فى الجغرافيا . وعندما يسمع قنديل أذان المسجد نجده

يسير على هديه حتى يجد مسجدا فيدخل ويتوضأ ويقف فى الصفّ ويصلى الظهر فى فرحة متوهجة بعين دامعة وصدر منشرح ، وكل ذلك دون أن يأتى ذكر لأى أناس سواء كانوا فى طريقهم إلى المسجد أو كانوا يتوضأون أو يخلعون نعالهم ليدخلوا الجامع . وإنما تأتى الإشارة إلى الناس بعد هذا كله على نحو خاطف كالبرق ، إذ يقول : « تمت الصلاة ، ومضى الناس ينصرفون ، ولكنى تسمرت فى مكانى حتى لم يبق فى الجامع إلا الإمام وأنا » .

أين الأصوات ؟ أين الألوان ؟ أين حركة الناس ؟ أين وصف المسجد وقبته ومئذنته فى وسط هذا المحيط الغريب ؟ إن الإنسان ليحس كما لو كان يتجول فى مدينة مستها عصا ساحر فحولت البشر فيها وكل شئ حى إلى صخر ساكن ^(١) . وهذا وأكثر منه يصدق على رواية تسليمة نسرین . وإذا كان لنجيب محفوظ بعض العذر لأن « رحلة ابن فطومة » هى رواية فكرية رمزية ، والبيئات التى تجرى فيها الأحداث بيئات تنتمى إلى عصور تاريخية قديمة ، فما عذر الكاتبة البنجلاديشية ؟

لقد ذهبت مايا مثلاً إلى كلكتا بالهند فى زيارة لبعض الأقارب

(١) بشيء من التصرف عن كتابى « فصول من النقد القصصى » ، ١٩٨٧ / م / ٢١٢ -

هناك ، وكان ذلك أيام عيد البوجاس الهندوسى . وقد كانت هذه فرصة لا بد من اهتمبالها لوصف مظاهر الاحتفال بهذا العيد فى الشوارع والبيوت وانعكاس ذلك على مظاهر الحياة ونفوس الأطفال ... إلخ . إلا أن كل ماقالته الكاتبة فى هذه المناسبة هو : « كلكتا خلال البوجاس تمتلئ دائما بالأضواء والمرح والتسلية » ^(١) . لكن ، يا مؤلفتنا العزيزة ، ليست كلكتا هى وحدها التى تفعل ذلك فى العيد ، فكل المدن فى جميع بلاد العالم تفعل هذا فى سائر المناسبات والأعياد . فأين الخصوصية التى تميز عيدا عن عيد وبلدا عن بلد؟

وفى الصفحة السادسة والأربعين بعد المائة يتمشى سورنجان فى شوارع دكا القديمة . ونقرأ ونقرأ ونقرأ ، ونقلب الصفحات صفحة بعد أخرى فلا نجد وصفا لهذه الشوارع التى كان يجوس خلالها بطل الرواية ، اللهم إلا هذه الجملة : « فى دكا القديمة لا حظ سورنجان أن محلات الهندوس لاتزال مغلقة » ^(٢) ، وكذلك هذه الجملة : « المدينة من حوله تمتلئ بأناس يمشون ، كلٌ إلى طريقه نحو هدفه » ^(٣) ، ثم هذه العبارة : « توقف عند أحد المحلات واشترى سيجارة » بانجلا فايف » . وصل الى تقاطع كاكريل واستأجر عربة

(١) ص / ١١٦ .

(٢) ص / ١٤٧ .

(٣) نفس الصفحة .

ريكشا . هذه الأيام ... تنام المدينة مبكرا مثل رجل مريض «^(١) . وهذا كل ما هنالك ، وهو ما يصدق على سائر الرواية .

وأخيرا وليس آخرا فإن الرواية تأخذ جانب الهندوس على طول الخط وتنحاز اليهم انحيازا مطلقا وتصورهم ملائكة وادعين وأطهارا مبرئين من جميع النقائص والعيوب ، أما المسلمون فقد جردوا من كل فضيلة وأبرزوا في هيئة ناس متوحشين ذوى مشاعر متحجرة وأذواق فاسدة وعقول غبية متخلفة . إن سودهاموى ، كما جاء فى الرواية ، طبيب واسع الأفق ، إنسانى النزعة ، لايعرف التعصب بل يسمو بفكره وعواطفه فوق حدود الأديان . وهو وادع النفس ، صبور على الأذى ، يحاول أن يلتمس العذر للمسلمين المتوحشين ما وسعه ذلك ، ولا يعرف الحقد ولا الشر إلى قلبه سبيلا . وزوجته كيرونموى حمامة وديعة مستكينة ، تتفانى فى خدمة أسرتها ومرضااتهم ، وقلما تفكر فى نفسها أو تطلب من زوجها ماتطلبه النساء من فساتين وأحذية وحلى . حتى عندما أصاب زوجها العجز الجنسى تقبلت الأمر فى هدوء ورضا ولم تعد تهتم بهذا الجانب وكأنها قد استحالت مخلوقا أثيريا لا يعرف نزعات اللحم والدم^(٢) . أما سورنجان فهو شاب واسع الثقافة عميقها ،

(١) ص / ١٥٣ .

(٢) قارن بيارفين ، الفتاة المسلمة التى كان يجها سورنجان ويريد أن يتزوجها فتذكره بأنها لا يمكن أن تتزوج منه إلا إذا أسلم ، لكنه يرفض ذلك فتتزوج من رجل أعمال مسلم =

رحيب الاهتمامات ، يكرّس وقته وحياته للعمل السياسي خدمة لجموع الفقراء من مسلمين وهندوس . وقد أنهى دراسته متفوقا على زملائه المسلمين ، ومع ذلك فقد حُرِمَ من الوظيفة في الوقت الذي حصلوا هم عليها رغم نجاحهم بالغشّ وتدنى تقديراتهم .

حتى المناسبات والتقاليد الهندوسية والملابس والزينة التي تتزين بها النساء الهندوسيات نجد الكاتبة تشير إليها بتعاطف وحبّ شديد يخيل للقارئ الذي لا يعرف تسليمة نسرین أنها هندوسية (١) . أما الطاقية التي يلبسها كثير من المسلمين في بنجلاديش فترتبط في الرواية بالتدمير والإحراق والقتل والاعتصاب (٢) . وعندما تأتي إحدى النساء المسلمات من صديقات كيرونوموي لتزورها هي وزوجها في ذروة محنتهما بعد

= أتى به والداها . ولا يمر عامان حتى تصبح حياتها مع زوجها جحيما لا يحتمل ، ويوشك أن يقع الطلاق (ص / ١٢١ - ١٢٤) . ويحس سورنجان بشماتة كبيرة فيها وفي أهلها لأنها لم تتزوج وتزوجت واحداً من أبناء دينها . وهي وقاحة منه ومن مؤلفة الرواية ، التي من الواضح أنها تكره الإسلام وترمي إلى تحطيم شرائعه . وإلا فكيف يمكن أن تتزوج مسلمة من هندوسى ؟

(١) انظر ص / ١٣٧ مثلا .

(٢) في بنجلاديش ينظر عدد غير قليل من أهل السياسة المسلمين إلى الهند بوذّ ، ويعدون الخلفيات الثقافية والعادات والتقاليد في بلادهم امتدادا لحضارة الهند (انظر مقال « بنجلاديش : هل تحاكم رئيسة الوزراء الجديدة رئيسة الوزراء القديمة بتهمة الفساد ؟ » / جريدة « الشعب » ، ٢٨ / يونيو ١٩٩٦م / ٧) .

اختطاف مايا بأيام فإن المؤلفة تصورها تصويرا يبعث على الاشمئزاز ، إذ جعلتها ترتدى قبل مجيئها الملابس الفاخرة والحلى المتلائة ، ثم تدخل عليهما بوجه مبتسم ، أى أنها أتت للمكايذة والتشفى لا للتعزية والمواساة . وتمضى الرواية فتقول : « رأيت عليا ييجوم حطام الغرفة وسودهاموى نصف المشلول ، وسمعت باختطاف مايا وعبرت عن تعاطفها وحزنها » . وسوف تقول أيها القارئ : « لقد ظلمت المؤلفة بارتياك في موقفها من المسلمين ، فها هي ذى تقول عن السيدة المسلمة إنها أبدت تعاطفها وحزنها لمصاب الأسرة الهندوسية » ، وأجيبك أن اصبر قليلا حتى تقرأ ما هو آت ، إذ تقول الرواية عقيب هذا : « وفي لحظة ما سألت كيرونموى :

- بودى ، أليس لكم أقارب في الهند ؟

- بلى كل أقاربنا هناك تقريبا .

- إذن لماذا لا تلحقى بهم ؟

- لأن هذا بلدى .

لم تستطع عليا إخفاء دهشتها من رد كيرونموى . بعد كل شيء كيف يمكن لكيرونموى أن تقول بثقة عليا نفسها إن هذا بلدها « (١) . منتهى الجلافة طبعاً لو كان هذا هو ما حدث . لكن هل

حدث ذلك فعلا؟ أقصد : هل يمكن أن يحدث الأمر في واقع الحياة على هذا النحو ؟ هذا هو السؤال .

وقبل ذلك عندما اختطفت مايا واستنجد أخوها بصديقه حيدر ، الذى استجاب له فى الحال وأردفه خلفه على دراجته البخارية ، وأخذنا بجوبان الشوارع ويترددان على أقسام الشرطة فى رحلة مضنية بحثا عن مايا ، نجده فى اليوم التالى يسترجع أحداث الأمس ويتشكك فى كل ما فعله حيدر ، على أساس أن من الممكن ، إن لم يكن من المرجح ، أن يكون على معرفة بمختطفى أخته والمكان الذى يخبئونها فيه . وهو يقف بوجه خاص عند تناولهما معاً العشاء فى أحد المطاعم . ولنترك الرواية تتكلم : « بينما يرقد فى الشمس يراقب القطة خطر لسورنجان فجأة أن حيدر ربما يعرف الذين خطفوا مايا ولكنه تظاهر بعكس ذلك . عندما كان يلتهم الطعام فى محل « سوبر ستار » لم يبد القلق على وجهه . على العكس تجشأ باستمتاع بعد الوجبة ودخن سيجارته ببساطة » ^(١) . والحمد لله أن المؤلفة اكتفت منه بأن تجشأ ودخن سيجارة ، ولم تجعله يخبط على بطنه عدة مرات رضا وجورا .

حتى فى الاغتصاب هناك فرق : فالمسلمون يغتصبون بالسليقة ، إذ هم يفعلون ذلك كثيرا ، وهم حينما يفعلونه لا يطرف لهم جفن . إنها

(١) ص / ١٦٣ - ١٦٤ .

مسألة عادية . أليسوا وحوشا ؟ أما الهندوس فلم يقع منهم أى اغتصاب ، اللهم إلا مرة واحدة يتيمة مسكينة (كدت أن أقول : وتستحق الصدقة !) ، وذلك عندما أراد سورنجان أن ينتقم لأخته . وهو ، ككل شىء هندوسى فى الرواية ، اغتصاب ظريف راق . لا ، بل هو فى الحقيقة ليس اغتصابا بالمرّة . ذلك أن سورنجان إنما فعل ذلك مع فتاة عاهرة (ومسلمة كما لا أحتاج أن أوضح) . تقول تسليمة نسرین : « بالأمس فقط تحسنت صحة سودهاموى وتمكن من ممارسة النشاطات الطبيعية وانحصر الأمر فى التأوه بالألم والمعاناة طوال اليوم من فقدان مايا ، هذه الحالة المثيرة للشفقة التى لم يكن يطيق سورنجان أن يتحمل النظر إليه فيها . لا بد أنهم يمزقون مايا مثل الطيور الجارحة التى تمزق فريستها . لا بد أنهم صنعوا منها وليمة . هل استمتعوا بها كما يستمتع أكلة لحوم البشر بالتهام ضحاياهم ؟ هذه الأفكار سببت آلاما رهيبة لسورنجان كما لو أنه هو الذى يتمزق تحت أسنان سبعة من الضباع »^(١) . ثم يركب سورنجان عربة ركشا ويلتقط فتاة مسلمة من بنات الليل ويأخذها معه إلى البيت حيث يعرّبها ويعضها وينشب أظفاره الحادة فى مختلف أنحاء جسدها ثم يقتصبها . وبعد ذلك يأمرها بأن تغلق فمها وتخرج فوراً : « فتحت شاميما الباب ووضعت قدما فى

الخارج . ترددت ثم عادت إلى سورنجان بنظرة تمتلئ بالتوسل . كان الدم يسيل من خدها وهى تقول :

- حتى لو كانت عشرة تاكا . أرجوك . أعطني إياها .

اهتز جسد سورنجان بالغضب ، لكن نظرات الفتاة هدأت ثورته بعض الشيء . إنها فقيرة فى النهاية ، تباع جسدها لتطعم فمها . إنها ضحية النظام الاجتماعى الذى تجاهل أية إمكانيات قد تكون تتمتع بها وألقى بها إلى البالوعة . ربما تريد نقود سورنجان لشراء وجبة . سحب سورنجان عشرة تاكا من جيبه وأعطها للفتاة ^(١) . ولم يستطع مع ذلك أن ينام طوال الليل بسبب تأنيب ضميره له . أرايتم إنسانية كهذه؟ أسمعتم بمثل هذا الاغتصاب الظريف الراقى ؟ لكن ما وجه العجب ؟ ألا يكفى أن سورنجان هندوسى وليس مسلما ؟ « لو أنه استطاع فقط أن يمسح الدم من خديها قبل أن ترحل ! هل سيلتقى بها ثانية أبدا؟ إذا رآها مرة أخرى فسوف يطلب منها أن تسامحه » ^(٢) . يا للمسكين الرهيف القلب !

واضح مما سبق أن تسليمه نسرين قد أقبلت على كتابة روايتها وفى ذهنها الإساءة لمسلمى بنجلاديش إن لم يكن للمسلمين

(١) ص / ٢٠٤ .

(٢) ص / ٢٠٥ .

أجمعين . وقد ذكرتني روايتها من هذه الناحية برواية الأستاذ سليمان فياض « أصوات » التي ذُكر في مقدمتها أنها تُرجمت إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وتُرجمَ حالياً إلى الإسبانية واليونانية والدانماركية ، ورُشحت لنيل إحدى الجوائز الفرنسية ، مما دفعني إلى قراءتها فور إحضار ابني لها من عند بائع الصحف القريب من البيت ، ممتياً نفسي بوجبة قصصية دسمة ، لكنني وجدتها تمضى بطيئة فاترة بلا طعم ، زيادة على أن بناءها الفني مهلهل ولا معنى له ، إلى أن وصلت إلى الفصل الأخير ، حيث وجدت السر في ذلك الاحتفاء الكبير الذي حظيت به من المستشرقين لدرجة ترجمتها لعدة لغات أوروبية ، إذ تتأمر أم حامد وزوجة أخيه والماشطة وامرأتان أخريان من القرية على زوجته الفرنسية ، التي كان قد أحضرها معه في إجازة لمصر بعد غياب سنوات طوال ، ويفاجئونها وهي تستمع إلى الموسيقى وتكتب بعض التقارير الصحفية في حجرتها بيت الأسرة في القرية ، ويهجمن عليها ويكتفنها ويحلقن لها عانتها رغم أنفها ، ثم لا يكتفين بذلك بل ... بل ماذا ؟ لعل من الأفضل ترك زينب زوجة الأخ تحكى لكم ما حدث :

« فتحتُ مصراع الباب على اتساعه لتدخل الأخريات . رطنتُ

بلغتها تخيينا أو تشتمنا ، وضحكت لها نفيسة . ونفخت سيمون مستسلمة ، وأوقفت الموسيقى بضغطة إصبع على الصندوق ، وأخذت تطبق أوراقها المفرودة على المنضدة ، واستدارت فجأة حين سمعت صوت الباب وأم خليل تغلقه .

لم تكن هناك وسيلة للتفاهم معها . أغلقت نفيسة النافذة وأحطنا بها فدرات حول نفسها باحثة عن مخرج . أمسكتنا بها فصرخت وقاومت . خفنا منها فأغلقتُ فمها بكفى وطرحناها على السجادة في أرض الغرفة ورفعنا ذيل القميص الذى ترتديه . لم تكن تلبس تحته شيئاً . وكنا نمسك بها جيداً وهى تناضل بكل ما فيها من قوة لتتخلص من ثمانية ^(١) أيد . وقالت نفيسة : ألم أقل لكم ؟

وراحت نفيسة تمارس مهمة تطهيرها بالمقص ثم بحلاوة العسل الأسود لتزيل القذر الذى تحمله بين فخذيها . وشهقت نفيسة وقالت لحماتى : انظرى . ألم أقل لك ؟ إنها لم تختتن .

كانت نفيسة ماتزال تكمل مهمتها بالحلاوة وسيمون ترتعد بين أيدينا . وطرحت علينا نفيسة فكرة ختانها لسيمون ، وتحمست النسوة للفكرة ، وقالت حماتى : يا ليت . ما الذى يمنع ؟ لكن أحشى أن تفضحنا .

(١) الصواب : « من ثمانى أيد » .

فقالت نفيسة مؤكدة : لا تخافى . لن تسمى لها صوتا .

كانت نفيسة قد انتهت من مهمتها فأخرجت زجاجة من صدرها ونزعت غطاءها ففاحت منها رائحة البنج ، وغمست فى الزجاجة قطعة قطن أخرجتها من صدرها أيضا ثم وضعتها على أنف سيمون . رأيت فى ضوء المصباح عينيها مفتوحتين على آخرهما مليئتين بالفرع . فكرت فى أن أتركها وأدفع الكل عنها وأوقظها . تصورت نفسى فى مكانها ، لكن خطر لى أنها تبهج حامد بروحها ، وربما أيضا بجسدها (الذى يشبه الملبين بياضا وطراوة)^(١) لأنها لم تختن . وكان جسدها يسترخى تحت أيدينا ، فمهما يتوقف عن المقاومة . ويتوقف الأنين المكتوم المنبعث من أنفها ، وعيناها تنطبقان وتظلان مواربتين^(٢) . قلت لنفسى : إن المسألة قد بدأت وانتهى الأمر ، ولا ينبغى أن تتوقف الآن . ما حدث حدث ، وعلينا أن نتمه . فحتى لو توقفنا لن يقلل ذلك من غضب حامد . وأكدت لنفسى أنه سوف يتكتم الأمر حتى لا يفضح نفسه ويفضحها .

وأخذت نفيسة تمارس مهنتها بسعادة بالغة ، والنسوة واقفات

(١) تصور الرواية زوجة الأخ قطة جائعة نشتهى أخوا زوجها وتحترق غيرة من زوجته ، كما تصور زوجها الفلاح الراقل فى نعمة أخيه قطا جائعا يشتهى زوجة هذا الأخ ويغار منه . ولا يجد الفلاح وزوجته حرجا من تبادل الاتهامات بهذا الخصوص .

(٢) كيف تكون العينان منطبقتين ومواربتين فى نفس الوقت ؟ علم ذلك عند المؤلف .

مستريحات ينظرن إلى مهمة جلييلة وفي قلق وسرور شديدين . وجذبت نفيسة ذلك الشيء ^(١) حتى آخره بيد ، وأخرجت باليد الأخرى موساً حادة كموس الحلاق ^(٢) من جيب ثوبها ، وفتحته ومسحته في جانب ثوبها ، ثم ضغطت بجانب السلاح وجذبت حد الموس بسرعة ، فانفصل ذلك الشيء في يدها الأخرى وتفجر دمها غزيراً . لم نر مثل هذا الدم من قبل على كثرة ما شاهدنا من طهارة للصبيان والبنات » ^(٣) .

وتحاول النسوة أن يكتمن الدم بكل ما تقع أيديهن عليه من قطن وقماش وبنّ وترابِ فُرْنٍ وترابِ أحمر ، لكن دون جدوى . ثم شمّنها بصلّة وكولونيا (ولا أدري لماذا لم يكتبها « كالونيا » لزوم الواقعية !) لتفيق ، فأفاقت قليلاً ، ثم (كما يحدث دائماً في مثل هذه المواقف في الأفلام والتمثيلات) « مالت برأسها جانبا دفعة واحدة ، وظلت العينان مواربتين » . يعنى بالعربى « ماتت » . قتلتها هؤلاء المتوحشات المتخلفات الجاهلات الحاققات على كل ما هو مشرق (لا تنس أن

(١) انظر إلى حياء المؤلف الجرم ورهافة أحاسيسه ، وكيف أنه لا يذكر اسم « ذلك الشيء » صريحا ! هكذا الأصول ، وإلا فلا !

(٢) الصواب : « موسى حادة كموسى الحلاق » .

(٣) أصوات / مكتبة الأسرة / ١٩٩٦م / ١٠٧ وما بعدها .

لحمها أبيض مثل اللبن كما قالت زوجة الأخ التي تحترق شهوة
وغيرة) وكل ما هو جميل (أليست فرنساوية من بلاد بره ؟) .

لكن بالله عليك أيها القارئ أتصدق أن هذا يمكن أن يقع ؟
أيمكن أن تجرؤ أم وكنتها على التآمر على هذا النحو على زوجة الابن
الأوروبية ، وهي الضيفة التي لم تكن قد مكثت في البيت إلا أياماً
معدودات لم ير أحد منها خلالها إلا كل خير ؟ ولنفرض أنهما أرادتا
أن تحداها ، أفما كان ممكناً أن تفتحها أو تفتح الأم ابنتها في هذا
الموضوع بطريقة أو بأخرى ؟ ثم ما الذي يشغلها أصلاً في هذه
المسألة ؟ أهما اللتان ستجامعانهما ؟ والله إنها لمهزلة! أعرفت الآن أيها
القارئ لم احتفى المستشرقون بهذه الرواية التي ذكرت لك رداءة
مستواها وتفكك بنائها وفتور عقدها فترجموها إلى كل هذه اللغات
الأوروبية ؟ إنهم يريدون أن يقولوا للقارئ الغربي : انظر إلى الإسلام
وما يفعله بـ « ذلك الشيء » عند البنات والنساء ! والمؤلف ، والحمد
لله ، لم يقصر في وصف عملية الختان على النحو الذي يعجب
الجمهور الغربي المتنمر لدينتنا . إننى لست من أنصار ختان الأنثى ،
لكن هذا التدليس في وصف عاداتنا وتقاليدنا شيء بشع ، فإن الأمور لا
يمكن أن تقع عندنا على هذه الصورة في مثل تلك الأحوال ، رغم
تسليمتنا بتخلف شعبنا في كثير من المجالات ، ومحاربتنا لكل ما هو قبيح

ومرذول في حياتنا ، وعمَلنا على تنوير العقول والقلوب والضمائر لدى أبناء أمتنا .

ونعود إلى رواية تسليمة نسرین ومنتساءل : أمثل هذه الرواية بعيوبها القاتلة التي سلف ذكرها وعرضها تفصيلا تستحق أن توصف بالقوة والجرأة والشجاعة والسخونة ، وأن يقال فيها إنها مثل من الأمثلة العالية على الأدب الغاضب الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن قضية من القضايا الإنسانية ، كما جاء في مقال الأستاذ رجاء النقاش بجريدة « الأهرام » ؟ لقد تناولنا بالدراسة في هذا الكتاب ترجمة الأستاذ عصام زكريا للرواية ووجدنا أن حكم الأستاذ النقاش عليها بالدقة والامتياز والروعة حكم مبالغ فيه كثيرا جدا . وها نحن أولاء ننتهي أيضا إلى أن حكم الأستاذ النقاش على الرواية نفسها هو حكم لا ينطبق على الواقع بأى حال : فالرواية ضعيفة ومنحازة ، وناؤها يفتقر إلى التماسك والصلابة . وهي تعتمد في بلوغ هدفها على الإحصاءات والتقارير المنقولة عن الصحف والكتب (بغض النظر عن صدق ذلك أو كذبه) أكثر مما تعتمد على الحوادث التي يراها القارئ بعينه ولا يسمعها مجرد سماع . كما أننا نفتقد أحد عناصر الفن القصصي الأساسية ، ألا وهو عنصر الوصف مثلما بيّنا قبل قليل . وقد كانت جريدة « أخبار الأدب » أقرب إلى الصواب حين كتبت في كلمتها القصيرة عن

الرواية أنها « رواية عادية من الناحية الفنية أو أقل من عادية »^(١) . أما مسارعة بعض الأوروبيين إلى ترجمتها فإنها لا تعنى شيئا من الناحية الفنية ، بل كل ما فى الأمر أنهم فى الغرب يرحبون أشد الترحيب بكل ما يسىء إلى الإسلام من كتابات المنتمين إليه والمحسوبين عليه .

وتبقى المقارنة التى عقدها الأستاذ النقاش فى آخر مقاله بـ « الأهرام » بين رواية تسليمه نسرين ورواية سلمان رشدى . قال : « ولا مجال للمقارنة بين الكاتبة المسلمة « تسليمه » والكاتب « سلمان رشدى » فى روايته « آيات شيطانية » ، فالآيات الشيطانية رواية سخيصة تخوض فى أعراض المسلمين بغير ذوق ولا حق . أما رواية « العار » فكاتبته تدافع عن المبادئ الإنسانية للإسلام ، وتدعو إلى حماية الهندوس فى بنجلاديش كما دعا غاندى الى حماية المسلمين فى الهند وقتله المتعصب الهندوسى عقابا له على دفاعه عن المسلمين » .

أما أن « الآيات الشيطانية » رواية سخيصة فهى فعلا كذلك وأكثر من ذلك . إنها رواية بل أربع روايات مفككة لا رابط بينها ، وهى مملوءة بالهلوسات والسمادير التى لا تدور إلا فى أذهان المخمورين المطروحين أرضا ، وفيها كم هائل من البذاءات التى لا يخطر على بال

(١) « أخبار الأدب » ، / الأحد ١٤ صفر ١٤١٧ هـ - ٣٠ يونيه ١٩٩٦ م / ١٣ .

أحد أن رواية من الروايات يمكن أن تحتوى عليها ، وكُم مثله من الكفر والتجديف فى حق الله والسخرية بالإسلام .

أما إشارة رجاء النقاش السريعة إلى خوضها فى أعراض المسلمين فتحتاج إلى بيان . ذلك أن المسلمين المشار إليهم هنا ليسوا إلا رسولنا الكريم ﷺ وزوجاته الطاهرات الشريفات .

إن « الآيات الشيطانية » هى فى الواقع أربع روايات وليست رواية واحدة ، وإن حاول كاتبها أن يوجد صلة تربط بينها . وإحدى هذه الروايات تدور فى الهند ، والثانية فى مكة والمدينة أيام الرسول ﷺ ، والثالثة فى بريطانيا المعاصرة ، والرابعة فى إيران . وهى روايات عمرة القراءة إلى حد مزعج ومنفّر . وما زلت حتى الآن أذكر الضيق والمعاناة الشديدة التى كان على أن أقاسيها وأنا أقرأها بغية عمل دراسة عنها عقب صدورها . لقد كنت أحسّ أننى أكل نشارة خشب!

وقد أفردت فى تلك الدراسة فصلاً خاصاً بالبذاءات والقاذورات التى يطفح بها الكتاب ، وهو فصل طويل يقع فى نحو خمسين صفحة ، واقترحتُ فيه تسمية المذهب الفنى المقزز الذى اتبعه سلمان رشدى فى « الآيات الشيطانية » بـ « الخُرئية »^(١) ، بصيغة

(١) ترجمة للمصطلح الطبى والأدبى " scatology / scatologie " .

المصدر الصناعي كالواقعية والرومانسية والطبيعية والرمزية ... إلخ . وفي هذا الفصل نفضت كل ما فى كتاب رشدى ، أو بالحرى برميل البول والبراز وسائر الفضلات والعفونات والنتانات المسمى بـ « الآيات الشيطانية » ، تحت بصر القراء ليعرفوا بأنفسهم مقدار الصيد والقيح الذى يملأ عقل وقلب ذلك الكاتب الشاذ المريض : فمن شتائم مقذعة كـ « ابن الزانية » ، التى لا يفلت منها حتى أبو الأنبياء عليه السلام ، و « القحبة » و « المنيو .. » و « ابن المنيو .. » إلى « الخرا » و « الطيب .. » ، إلى التجنى على عرض الرسول الكريم متمثلاً فى زوجاته النبيلات اللاتى لم يتورع هذا النذل عن الإساءة إليهن دون أى سب سوى شذوذه ومرضه وحقارته ، إذ اخترع فى الرواية الثانية من رواياته الأربع (وعنوانها « الجاهلية ») ماخوراً سمّاه « ماخور الحجاب » يضم اثنتى عشرة مومساً كل واحدة منهن تحمل اسم إحدى أمهات المؤمنين وتتصف بصفاتهما الجسدية والعقلية والنفسية ، غير مستثن من ذلك ولا أم المؤمنين زينب بنت خزيمة ، التى ماتت فى حياة الرسول ﷺ ، فقد جعل المومس التى تحمل اسمها ، كلما دخل عليها أحد رواد الماخور ليمارس الجنس معها ، تتصلّب وتتخشّب كأنها جثة هامدة (إشارة إلى أنها قد ماتت ، كما قلت ، فى حياته عليه السلام) ، وذلك إرضاءً لرواد الماخور المصابين بمرض

النكروفيليا (أى اشتها مضاجعة الموتى) ، فضلا عن الغمز واللمز فى حق الصديقة بنت الصديق بالتلميح لحادثة الإفك ، التى يكفى لتبرئتها مما خاض فيه المنافقون أثناءها أنها عاشت بعده ﷺ عشرات السنين لم تُثر حولها أية ريبة رغم أنه قد مات عنها وهى فى قمة شبابها وجمالها ، وظلت إلى آخر حياتها المديدة المباركة لم تتزوج ، لأن القرآن الكريم قد حرّم عليها وعلى سائر أمهات المؤمنين الزواج بعده عليه الصلاة والسلام .

ليس ذلك فقط ، بل يصور فى مشهد من المشاهد رسولنا الكريم ﷺ نائما فى الفراش فى بيت هند زوجة أبى سمبل (يقصد هنا بنت عتبة زوجة أبى سفيان) . وكانت هند قد التقطته ، كما يدعى هذا الأفاق ، من شوارع الجاهلية كالسكران ، فأخذت تطعمه قطع الشامام فى فمه ثم تمد يدها من طوق جلبابه وتداعبه فى صدره ... إلى آخر هذا التجديف الوقح الذى باركته أوروبا وهبت تدافع عنه بحجة الدفاع عن حرية التعبير^(١) ، على حين يقدمون رجاء جارودى هذه الأيام للمحاكمة التى من الممكن أن تنتهى بسجنه لا لشيء إلا لأنه كتب

(١) عالجتُ كل ما يتعلق برواية « الآيات الشيطانية » فى كتاب مستقل بعنوان « ماذا بعد إعلان سلمان رشدى توبته ؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية » (توزيع دار النهضة المصرية ودار زهراء الشرق بالقاهرة) .

دراسة تاريخية تعرّض فيها بالتمحيص لدعوى أفران الغاز التي يقال إن هتلر كان يحرق اليهود الألمان فيها ، وقدّم الأدلة العلمية القاطعة على أن هذه الدعوى لا تنهض على أى أساس .

الفصل الثالث

ترجمة الرواية

مررت على بائع الصحف صباح الأحد ٢٣ يونيه ١٩٩٦ م فى طريقى إلى الجامعة ، وأخذت أدير بصرى فى الصحف والكتب المعروضة أمام المحلّ كعادتى كلما مررت به ، ففوجئت برواية « العار » لتسليمة نسرین مترجمة عن الإنجليزية إلى العربية بقلم لم أسمع به من قبل هو قلم الأستاذ عصام زكريا . وبعد أن قلبت البصر فى صفحاتها أعدتها إلى مكانها ومضيت ولم أحسم أمر شرائها ، ثم قرأت فى اليوم التالى مقالا للأستاذ رجاء النقاش فى الصفحة العشرين بـ « الأهرام » بعنوان « الغاضبة » ، وفيه دفاع قوى عن الرواية وصاحبتها وثناء حار على الترجمة ، التى وصفها بأنها « ترجمة ممتازة » و « راقية ممتعة » ، فنفضت ترددي وتسويفى وعرجت فى طريق عودتى من الكلية على بائع الصحف واشتريت الكتاب . وما إن عدت إلى البيت حتى شرعت أقرؤه .

بيد أننى فى الوقت نفسه كنت حريصا على الحصول على الترجمة الإنجليزية التى اعتمد عليها الأستاذ زكريا كى أوازن بين الأصل الإنجليزي والنص العربى ، وذلك بضغط من الإغراء الذى شكّله حكم الأستاذ النقاش على الترجمة بالامتياز والرقى ، فليس الأستاذ النقاش بالذى يُهمل حكمه بسهولة ، وإن كنت استغربت مع

ذلك أن هذا الحكم لم يؤسس على المقارنة بين النصين لأن رجاء النقاش لم يقرأ إلا الترجمة العربية كما ذكر هو نفسه .

وبدأت رحلتى فى البحث عن الترجمة الإنجليزية واتصلت بمن أشيم فيهم المقدرة على المساعدة فى هذا السبيل . وبلغنى أن الكتاب موجود بمحل بيع الكتب فى الجامعة الأمريكية ، فهاتفت القائم على المحل ولكنه اعتذر بأن الكتاب لا يزال فى الرقابة ، ومن ثم فهو لا يستطيع بحال من الأحوال أن يبيعه . فقلت له : أما كنتم تبيعونه قبل ذلك بالثمن الفلانى ؟ فكان جوابه « بلى ، ولكن تلك كانت طلبية سابقة ونفدت ، وهذه طلبية جديدة تلزمها موافقه جديدة من الرقابة »

وقال لى إن بمستطاعى الاتصال به بعد أسبوعين مثلاً ، فلعلهم فى الرقابة يكونون قد أرسلوا إليه التصريح ببيع الكتاب . فعدت مرة أخرى إلى الصديق الذى كان قد أخبرنى بوجود الكتاب فى الجامعة الأمريكية ، وهو الأستاذ صلاح أبو النجا (الباحث بالمجالس القومية المتخصصة) ، فرجع بدوره الى صديقه الأستاذ عامر سلطان ، واتصل هذا بصديقه الأستاذ إبراهيم منصور ، الذى كَلَّم الأستاذ عصام زكريا زميله فى « روز اليوسف » واستسمحه أن يأخذ منه الكتاب ويصوره « لأستاذ جامعى يريد أن يكتب دراسة عنه » ، فاستجاب الرجل مشكوراً . ولولا هذه الاستجابة الكريمة ما كان هذا الفصل ، الذى

أرجو أن يتقبل ما فيه من ملاحظات بسعة صدر . وهى ملاحظات حاولت جاهداً أن أسوقها بأكبر قدر من التلطف نظراً لإحساسى الشديد بالمنة التى تفضل بها حين أعارنا الكتاب لتصويره ، إلى جانب اليد التى أسداها من قبل للنقد الأدبى والفكر الإسلامى حين ترجمه . ولست أقصد بهذه الملاحظات إساءةً أو تشنيعاً ، بل أهداف من ورائها إلى خدمة الأدب والفكر والترجمة .

ونعود إلى حكم الأستاذ رجاء النقاش على ترجمة الرواية . وتمحيصه يقتضى أن ننظر فى أسلوب الترجمة من جهة ، وفى مدى مطابقتها للنص الإنجليزى من جهة أخرى .

فأما الأسلوب فهو سهل بسيط واضح كالأساليب الصحفية السائدة هذه الأيام . لكننى لاحظتُ كثرة مجيء الجمل الاسمية فى مواضع تحسُن فيها الجملة الفعلية . كما تفتقر بدايات الجمل فى كثير من الأحيان إلى الروابط التى كان من شأنها أن تحكم الصلة بينها وبين الكلام السابق عليها . ذلك أن الجملة العربية فى كثير من الحالات لا تستقر فى موضعها تماماً إلا إذا بدئت بالواو أو الفاء أو بعبارة مثل « وقد » أو « إلا أن » أو « إذ إن » ... إلخ . وهذه بعض شواهد من الصفحات الأولى فى الرواية على ما نقول : « كان سورنجان راقداً فى فراشه . أتت أخته نيلانجانا ، التى يطلقون عليها اسم مايا ، ودخلت

الغرفة مرة أخرى ... عرف سورنجان أن مايا تريد منه البحث عن مكان يختبئون فيه مؤقتا من الخطر الذى يتهددهم ... تذكر هذا اليوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩٠ بوضوح . كمال ، الذى يعيش فى إسكاتون خاف عليهم من التعرض لأى مكروه ... كمال لم يكن لديه سبب يدفعه إلى الهروب أبدا ... هذه المشاهد فى بيت آل دوتا كانت تجرى فى السابع من ديسمبر ... المتطوعون المتعصبون انضموا إلى مشروع لتطهير المنطقة فى المسجد وحوله ... حدثت هذه الدراما بأكملها فى حضور ضباط أصحاب رتب عالية ... (١) .

ومرجع هذه السمة فيما أظن هو أن المترجم قد ترك النص الإنجليزى بجمله الاسمية الخالية عادةً من الروابط المذكورة يسيره . ولو أنه استطاع التخلص من إسار تركيب الجملة فى الإنجليزى لتغير أسلوبه .

كذلك لا بد من التنبيه إلى أن الهمزة قد أثبتت فوق ألفات الوصل فى معظم الأحيان . وقد انتشر هذا الخطأ وأضحى يشكل ظاهرة فى الكتابات العصرية للأسف الشديد ، وإن لم تكن المسؤولية فيه دائما هى مسؤولية المؤلف ، الذى قد يحذف الهمزة من فوق ألف الوصل ، فإذا بالطابع يثبتها . وإذا كان منتظرا من الطابع بمستواه الحالى المعروف

(١) ص / ٣١ - ٣٣ . وهى الصفحات الثلاث الأولى من الرواية .

لنا جميعا مثل هذا الخطأ ، فكيف يُقبل ذلك من شخص يرى أنه أهل لأن يكون في موقع الصدارة والتوجيه من قومه يرشدهم ويهديهم ويأخذ بأيديهم إلى مدارج النور والفلاح ؟

وفوق ذلك فالأخطاء النحوية والصرفية في الكتاب غير قليلة ، ولو خلت الرواية منها لأنلجت صدور القراء الغيورين على لغتهم . ولست أدري السبب في كثرة هذا اللون من الأخطاء في الأسلوب العربي الحديث . لقد ظل المؤلفون العرب يصنفون كتبهم ، والأدباء العرب يدعون نثرهم وشعرهم بلغة سليمة وراقية طوال القرون الماضية من عمر لغتنا الجميلة ، فما الذي حدث حتى تفسد لغة الكتاب والمبدعين على هذا النحو ؟ لقد انتشرت المؤسسات التعليمية انتشاراً لم تعرفه الأحقاب السابقة ، وكثر الكتاب في أيدي الناس ، وزاحمته الصحيفة والإذاعة والمرئء وأشرطة التسجيل ، وأصبح نصيب الرجل العادى من الثقافة نصيباً كبيراً . وكان المظنون إذن أن يرتفع مستوى لغة الكاتبين والمتحدثين ، بيد أن الذى وقع هو العكس . وانى ليصينى الغثيان كثيرا هذه الأيام وأنا أصحح كراسات إجابة الطلاب ، ومعظمهم من المتخصصين فى اللغة العربية وآدابها ، وكثير منهم فى السنة الرابعة ، أى ليس بينهم وبين الاشتغال بالتدريس أو الصحافة أو الإذاعة مثلاً إلا أشهر معدودات . ومنشأ هذا الغثيان هو القبح السائد فى معظم كراسات الإجابة : قبح فى الخط ، وقبح فى الأسلوب ، وقبح فى الفكر ، وقبح

فى طرئقة تنظيم الصفحة ، وقبح حتى فى الشطب . وهو قبح شنيع شديد الشناعة . إن هؤلاء الطلاب هم المستقبل الذى ينتظر مصر ، ولست أظن أن البلاد العربية الأخرى أفضل حالا ، بل أرجح أن العكس هو الصحيح . وليلطف الله بنا !

على أن مترجم الرواية رغم ذلك أفضل حالا من كثيرين غيره من الكتاب المعاصرين ، وبعضهم أكثر منه شهرة وأغزر إنتاجًا ، ولكن أخطاءهم مع ذلك أكثر وأفدح وأفظع . وقد أشرت إلى هذا الأمر فى مقال لى ظهر فى صحيفة « آفاق عربية » بعد ظهور عرض رجاء النقاش لرواية تسليمة نسرين بأيام ، وكان عن رواية لمحمد عباس .

وعلى أبة حال فهذه عينة من الأغلط النحوية والصرفية والأسلوبية التى فى الترجمة رأيت أن أضعها تحت بصر القارئ . وسوف أتبع الخطأ بتصويبه ، داخل قوسين :

* هل من الضرورى لأسرته - أبوه (أبيه) سودهاموى وأمه كيرونموى وأخته نيلانجانا - أن يهربوا مثل المطايرد بسبب أسمائهم ؟ (ص / ٣١ ، وهى أولى صفحات النص الروائى) .

* ولا يبدو أنه يبال (يبالى) لشيء فى العالم (ص / ٣٤) .

* من أكبر أنواع الخداع على الشعب (للشعب) أن نقول بأن الصلة الدينية يمكن أن توحد المناطق المختلفة ثقافيا ولغويا واقتصاديا وجغرافيا (ص / ٣٧) .

- * كيرونموى المرعوبة (المرعبة) قالت له : ... (ص / ٣٩ . وقد تكررت هذه الغلظة فى ص / ٥٧ ، ١٦١ ، ٢٢١) .
- * انتاب سودهاموى ألم فى أيسر (فى الجانب الأيسر من) صدره (ص / ٤٠) .
- * ظمانا (ظمان) إلى الشاى لايزال (ص / ٤٣ . وقد تكررت فى ص / ٨٨) .
- * وتذكر كيف كانت جوافا (جوافة) حديقتهم هى الأفضل (ص / ٤٩) .
- * وكان يقول لأصدقائه وأسرتة أن (إن) البنغاليين كعرق لا يجب أن (يجب ألا) يصنفوا أنفسهم بفروق طائفية أيا كانت (ص / ٥٦) .
- * إذا أتى المسلمون وقطعوهم إربا (إرباً إرباً) فليفعلوا (ص / ٥٧) .
- * فقط الكلاب التى لا تعانى من الخوف بدت أنها (بدا أنها / بدت) تجرى مبتهجة (ص / ٥٩) .
- * حدق سورنجان على (فى) أطلال المكتب المحترق (ص / ٦٠)
- * فى الهند قتل مائتا شخص فى حوادث عنف وإطلاق النار من البوليس (وبتيران بنادق البوليس) (ص / ٦١) .

- * وبعد قليل جاء لوتفور بنفسه مذهولاً (ذاهلاً) من رؤيته (ص / ٦٢) .
- * أراد سورنجان أن يشعل سيجارة أخرى ، ولكن سلوك لوتفور وتحذيراته المستمرة أثنته (ننته) عن إشعالها (ص / ٦٣) .
- * ولكن الطارق كان أختارو جامان الأستاذ المتقاعد في الجوار (في نفس المنطقة) (ص / ٦٥) .
- * ربما يعيد إليه كوبا (كوب) من الشاي بعض الحبيوية (ص / ٦٦) .
- * الأفضل أن يكون الإنسان آمناً عن أن يكون أسفاً (أفضل للإنسان أن يكون آمناً من أن يكون أسفاً) (ص / ٦٧) .
- * إنها ابنة محامى (محام) شهير (ص / ٦٧) .
- * ١٩٧١ كان عاماً سيئاً عليه (بالنسبة إليه) (ص / ٦٩) .
- * عندما تتجاوز (يتجاوز) بلدان وتندلع النار في إحداها (أحدهما) . فلا بد أن يطير بعض الشرر إلى الجيران (ص / ٧٣) .
- * كان سورنجان يقول لها : انس (انسى) البوجاس (ص / ٧٧) .
- * ونادراً - إن لم يكن مطلقاً - ما طلبت أى دعم مالى من أجل دراستها (ونادراً ما طلبت أى دعم مالى من أجل دراستها ، إن كان قد حدث ذلك أصلاً) (ص / ٧٨) .

- * عاد سودهاموى من معسكر الاعتقال بعد أيام قليلة . هل كانوا
(كانت) سبعة أيام ؟ (ص / ٨٩) .
- * سوف ينهار هدوئها (هدوؤها) غير الطبيعي (ص / ٩٠) .
- * البوليس كان متواجدا (موجودا) فى المرة الأخيرة أيضا (ص /
٩٧) .
- * لم يطرق سورنجان باب البيت الأمامى لأن الوقت كان متأخر
(متأخرا) (ص / ١٠٥) .
- * كلهم بخير باستثناءه (باستثناءه) هو وأسرته (ص / ١٠٦) .
- * ولكنى أعتقد أن كيس أمى خاوى (خاوٍ) (ص / ١٢٥) .
- * هل لازلت (أما زلت) تتابع آخر تطورات الموقف فى البلد ؟
(ص / ١٢٥) .
- * قتلوا وضربوا رجالهم واعتصبوا نسائهم (نساءهم) (ص / ١٢٥) .
- * فى تاجمودين دُمّر ألفان ومئتا (ومائتا) منزل تماما وألفان (وألفا)
منزل جزئيا ، وفى بهولا دُمّر مئتين (مائتان) وستة معابد
(ص / ١٢٦) .
- * كان قد أعطى الألفين تاكا (الألفى تاكا / ألفى التاكا) لأمه فى
الليلة الماضية (ص / ١٣٢) .

-
-
- * أنت تعلمين ، فأعطني (فأعطيني) بعض النقود من أجل السجائر (ص / ١٤٣) .
- * كيف يفتحوا (يفتحون) محلاتهم ؟ (ص / ١٤٧) .
- * سوف يخسروا (يخسرون) شعبيتهم (ص / ١٤٩) .
- * السماء أعلم بأين (أين) يحوم طول اليوم حتى الآن (ص / ١٥٥) .
- * اندفع سبعة رجال إلى الداخل ... أربعة منهم مسلحين (مسلحون) بالقضبان (ص / ١٥٥) .
- * المراتب (المرايا) الزجاجية (ص / ١٥٥) .
- * ملابسها مفتوحة مثل عيناها (عينيها) الجاحظتين بالهلع (ص / ١٥٦) .
- * مايا وكيرونموى ليسا (ليستا) هناك (ص / ١٥٧) .
- * دائما ما كان يحب سورنجان صوت الآذان (الأذان) ... صوت الآذان (الأذان) كان يعنى مجيء الفجر (ص / ١٦٠) .
- * ربما لا تكون لمايا فى برنامج أشياءه (أشياءه) (ص / ١٦٤) .
- * كل الأخوات يطلبن من اخواتهم (إخوتهن) الكبار أشياء طفولية : اخرجنى (أخرجنى) معك . اشترى (اشترى) لى ذلك (ص / ١٦٤) .

- * كان مشغولا للغاية ، مشغولا بنفسه على (عن) أن يعتنى بها
(ص / ١٦٤) .
- * لم تقل أبدا : « أريد هذا السارى » أو « اشترى (اشتر) لى هذا
الحلق » (ص / ١٦٧) .
- * أنا أيضا أريد سواطير وخناجر ومسدسات وقضبان (وقضباننا)
حديدية (ص / ١٧٢) .
- * النهب والمذابح كانوا (كانت) ردّ فعل تلقائى (تلقائيا)
(ص / ١٧٦) .
- * من شدة الذهول لم يجد أحدا (أحد) منهم شيئا يقول
(ص / ١٧٧) .
- * يداها ناعمة (ناعمتان) مثل يدى مايا (ص / ١٨٠) .
- لا بد أنها أيدى (أيد) خشنة ووقحة وقاسية (ص / ١٨٠) .
- * لديهم الحق ... علّى (فى) حفظ وحماية حياتهم وممتلكاتهم
(ص / ١٨٣) .
- * ما لا يدركوه (يدركونه) هو أن الأمر فى بنجلاديش من جانب
واحد فقط (ص / ١٨٤) .
- * ويعرّف مواطنى (مواطنو) بنجلاديش باسم البنجلاديشيين
(ص / ١٨٧) .

* فى كل مرة يغلق عينيه كانت تمتد نحوه يد حيوانية هائلة ترغب فى خنقه . لا واحدة ولكن أيدى (أيدى) كثيرة تندفع نحوه (ص / ١٩٣) .

* لكن حتى هذا لم يخيفه (لم يُخِفْه) بقدر ما أخافه احتمال (احتمال) خطف ابنته (ابنته) أنجالي (ص / ١٩٤ - ١٩٥) .

* أدرك سودهاموى أنه لا فائدة من محاولة إثناء (تثنى) نونيچوبال عن الرحيل (ص / ١٩٥) .

* كم بالضبط عدد الهندوس الذين يجب أن يعانون ويموتوا فى هذا البلد من أجل تسديد أخطاء هندوس الهند ، سواء أخطاءهم (أخطاؤهم) فى الماضى أو فى الحاضر ؟ (ص / ١٩٦) .

* إذن لماذا لا تلحقى (تلحقين) بهم ؟ (ص / ١٩٧) .

* وبقدر ما كان يجب الاشتراك فى هذه الأناشيد بقدر ما لا يجب ذلك الآن (لم يعد يجب ذلك الآن) (ص / ١٩٩) .

* من الحمافة أن نواجه سلاحا بأيدي (بأيدي) عارية (ص / ٢١٠) .

* أن يقال أن (إن) الهندوس يضطهدون أمر يُفضّل أن يقوله مسلم وليس هندوسى (هندوسيا) (ص / ٢١١) .

* لابد أنها تأمل فى أن يأتى سورنجان ذات يوم ويطلق بابها ويجلسان ويتحدثان (ويجلسا ويتحدثا) معا عن حياتهما أثناء تناول الشاى (ص / ٢١٤) .

* اختارت بارفين أن تتزوج شخص مسلم (شخصاً مسلماً) (ص / ٢١٥) .

* كلما أحببنا هذا البلد ... كلما أجبرونا على الانحناء فى الأركان .
كلما أحببنا أناس هذا البلد كلما عزلونا (كلما أحببنا هذا البلد
أجبرونا ... كلما أحببنا أناس هذا البلد عزلونا) (ص / ٢١٨) .

* فَهَمُّهُ ، بصيرته وإحساسه بالعالم كانوا يتلاشون (كانت تتلاشى)
إلى لا شىء (ص / ٢٢٠)

* أجبر نفسه على أن يقول أنهم (إنهم) راحلون (ص / ٢٢٢) ،
وهى آخر صفحة فى الرواية) .

ومما سبق يتبين لنا أن الأغلاط اللغوية والأسلوبية تنتشر فى ترجمة الرواية كلها من أول صفحة فيها إلى آخر صفحة . كذلك فقد كان من الممكن تدارك جلّ هذه الأخطاء ، إن لم يكن كلها ، فهى ليست بالأخطاء المعقدة التى يصعب التنبيه لها . ترى كيف يصحّ أن ينصب كاتب الفاعل ، أو يجرّ المفعول ، أو يحذف نون الأفعال الخمسة دون موجب من ناصب أو جازم ، أو يثبت ياء الاسم النكرة المنقوص فى حالة الرفع أو الجرّ ، أو يستعمل ضمير الذكور العقلاء للجمادات ، أو

يكرر « كلما / بقدر ما » مع فعل الشرط وجوابه مثلا ؟ إن هذه الأشياء كلها تقريبا هي من أوليات النحو والصرف . لكن ذلك إنما يندرج تحت ما يسمى بـ « عموم البلوى » ، ففي وقت المحن والفتن يُتَوَقَّع حدوث أى شىء ولا يعود الناس يستهلون أية مصيبة ، تماما مثلما نقرأ اليوم فى تبليد أخبار قتل الأبناء لآبائهم وأمهاتهم والسرقات الفاحشة لملايين المال العام ، وتنكيل الحكومات الاستبدادية بمعارضيهها ، وكذلك مثلما نأكل الطعام الملوث ونشرب الماء الملوث . ذلك أنه ليس هناك حل آخر ، اللهم إلا أن نُضْرَبَ عن الأكل والشرب ونموت . ومن يستطيع ذلك يا ترى ؟ دلونى عليه !

على أن عصام زكريا ، كما سلف القول ، هو أفضل حالا ، رغم كل شىء ، من كثيرين غيره ممن هم أكثر شهرة منه وأغزر إنتاجا . خذ مثلا النصاص مجيد طويبا ، الذى قرأت له مؤخرا روايته « عذراء الغروب » ، فوجدتها للأسف تطفح بأخطاء الإملاء واللغة والأسلوب بحيث لا تكاد تنجو من ذلك ولا جملة واحدة . وليس لهذا من معنى سوى أن الكاتب لا يعرف شيئا اسمه قواعد النحو والصرف . هل هذا معقول ؟ نعم ، معقول ونصف ، وإلا فكيف حدث ويحدث كل يوم وتجيئنا بل تصفعنا به عشرات الكتب التى تلفظها المطابع كل يوم ؟ فهذا هو عموم البلوى الذى شرحناه لك أيها القارئ الكريم والذى على أساسه قلنا إن مترجم رواية « العار » هو أفضل حالا من

كثيرين غيره . على أن هذا الذى أقوله شىء ، وحكم الأستاذ النقاش على ترجمة الرواية بأنها ممتازة شىء آخر مختلف تمام الاختلاف . إن حكم رجاء النقاش ليس له إلا دلالة واحدة ، هى أن الكلمات قد فقدت معناها أو أن القراء قد فقدوا الفهم والتمييز . فهل وصلنا حقا الى هذا الدرك الأسفل ؟ إن الأستاذ رجاء النقاش ناقد مشهور متخصص فى لغة العرب وآدابهم ، فكيف قال ما قال ؟

فهذا عن لغة الكاتب وأسلوبه . ثم نتحول الآن إلى مدى مطابقة الترجمة العربية للنص الإنجليزى . وقد اخترت حوالى أربعين صفحة من مواضع متفرقة من الرواية وموزعة عليها بطريقة شبه منهجية ، ووازنت بينها وبين الصفحات التى تقابلها فى الأصل الإنجليزى بغية إصدار حكم علمى بقدر الإمكان على الترجمة التى قام بها الأستاذ زكريا .

وبادئ ذى بدء لا بد من القول بأن الترجمة التى تخلو تماما من الأخطاء لا وجود لها . إن الترجمة عمل بشرى ، وهى ككل أعمال البشر لا بد من تسرب الخطأ إليها مهما سد المترجم ، أو بالأحرى مهما ظن أنه قد سد ، كل الأبواب التى يمكن أن ينفذ الخطأ من خلالها . أقول هذا وأؤكد من خلال تجربتى الشخصية فى ذلك المجال ، فما من مرة ترجمت فيها شيئا وظننت أنه قد جاء بريئا من الأخطاء بعد أن أكون قد راجعته عدة مرات ثم

صَدَرَ إلا واكتشفت أنه ما زال يشوبه عدد من الأخطاء . كيف ذلك ؟ وما الذى كنت أفعله طيلة الوقت ؟ الجواب : اسألوا الطبيعة البشرية بسهولة وتسرعها ونسيانها وكلالها . على أن ثمة فرقا بين أخطاء قليلة مبعثها السهو والنسيان مثلا وبين أخطاء فادحة كثيرة مرجعها التصدى للترجمة دون التأهل لها . وما أكثر الجُرءاء الذين لا يتوقفون ولو لحظة للتفكير فيما هم مقدمون عليه ! وكيف يتوقفون ويفكرون وهم يظنون أنهم قد حازوا الكمال والعصمة ؟ وهل الكُمل المعصومون بحاجة إلى ترو أو تفكير ؟ بالطبع كلا !

ولعل القارئ بعد هذه المقدمة يتساءل : ما رأى الإجمالى فى ترجمة عصام زكريا لرواية « العار » ؟ رأى أنها فى جانب منها ترجمة صحيحة ودقيقة ، لكنها فى جانب آخر لا تعدو أن تكون ترجمة تقريبية . فمقارنة سريعة بين عدد صفحات النص الإنگليزى ومقابله فى الترجمة العربية سيتضح على الفور أن النص العربى قد ترك أشياء وأشياء وأشياء من النص الإنگليزى ، إذ بينما لا تبلغ الترجمة العربية إلا مائة وستا وتسعين صفحة نجد أن صفحات الرواية بالإنگليزية تزيد على المائتين بعشرين ، مع ملاحظة أن الصفحة الإنگليزية تحوى من السطور ضعف ما فى الصفحة العربية (١) ، وأنها لا تعرف الفراغات الكثيرة

(١) تشمل الصفحة الإنگليزية على أربعين سطرا ، والعربية على اثنين وعشرين .

التي يتركها كثير من كتابنا ومترجمينا بين الجمل والكلمات وال فقرات . أى أن عدد صفحات الترجمة العربية كان ينبغي أن يزيد على الثلاثمائة . فما السبب فى ذلك يا ترى ؟ لقد حذف الكاتب كثيراً جداً من الكلمات والعبارات فى حالات ، وكثيراً جداً من السطور فى حالات أخرى ، وكثيراً جداً من الصفحات فى حالات نادرة . فعلى سبيل المثال ما من مرة وجدت قائمة بأسماء المواضع التي وقع فيها ، حسبما تقول الرواية ، اعتداء على الهندوس أو معابدهم أو ممتلكاتهم ، أو إحصاءً بأعداد القتلى والجرحى والمغتصبات والحرائق والتدميرات إلا ولاحظت أن المترجم يوجزها على نحو أو على آخر ، كأن يذكر السطرين الأولين منها ثم يقول مثلاً : « وغير ذلك كثير » أو عبارة بمعناها ، أو ينتقل ببساطة إلى الكلام الذى يلى ذلك . هذا ما لاحظته بنفسى فى الصفحات التي اخترتها لأجعلها موضع مقارنة بين الأصل والترجمة . وهو نفس ما يقوله المترجم فى مقدمته للكتاب ، إذ ذكر أنه « فى الأحوال التي تكررت فيها المعلومات أو التي ضاعت فيها بعض الصفحات فى سرد عشرات الأسماء للمعابد أو القرى أو الناس كنت أقوم بالحذف بضمير مرتاح تماماً لثقتى بأنها لن تؤثر إطلاقاً على الناحية الفنية أو حتى من ناحية المعلومات التي تضيفها للقارئ ... وكما لا يمكن اعتبار ترجمة « پنجوين » ترجمة دقيقة للنص الأصلي بل نصاً جديداً ، أعتقد أن هذا ينطبق على هذه الترجمة العربية أيضاً ،

التي يمكن اعتبارها دراسة على النص وعرضاً له أكثر منها ترجمة حرفية» (١). كما أن المؤلفة قد تبدأ بعض فصول الرواية بمقدمة تاريخية قبل أن تستأنف سرد الأحداث ، لكن المترجم يهمل هذه المقدمة تماماً ويدخل في الفصل الجديد مباشرة . كذلك كثيراً ما يحذف المترجم بعض العبارات أو السطور دون سبب ظاهر . وربما كان السهو أو قفز العين من موضع إلى موضع قريب منه دون قصد هو السبب .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أنه قد ترجم كثيراً جداً من العبارات ترجمة مقارنة أو غير دقيقة : من ذلك على سبيل المثال أن سورنجان يتساءل فيما بينه وبين نفسه : « لماذا لا يستطيع أن يقول له (أى لوطنه) : أنا ابن هذا التراب . أرجوك ، لا تسب لي أي أذى ؟ » (٢) ، بينما الترجمة الدقيقة هي : « اعمل من فضلك على ألا يحق بي أي أذى » ، فالعبارة الإنجليزية تقول : (٣) " please see that no harm comes to me " . ومن ذلك قوله : « في المساء السابق » بدلا من « في عصرية اليوم السابق » (٤) ، ووصفه للمسجد البابري بأنه « يزيد عمره على ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة » ، والصواب هو : « يزيد عمره على

(١) ص / ٢٠ .

(٢) ص / ٣٢ .

(٣) p . 1 .

(٤) ص / ٣٢ (P . 2) .

٤٥٠ سنة»^(١) ، وتصويره لما حدث للقبة الثالثة من قباب ذلك المسجد بقوله : « انكسرت القبة الثالثة إلى نصفين » ، بينما فى النص الإنجليزى أنها « تخطمت قطعاً : *broke to pieces* »^(٢) .

ومن ذلك أيضاً نقله رأى المؤلفة فى هامشية دور الدين فى تشكيل الأساس الذى تقوم عليه الهوية القومية لأى شعب : « مما أثبت أن الدين وحده لا يمكن أن يكون أساساً لهوية قومية »^(٣) . وعدم الدقة يكمن فى إضافة كلمة « وحده » ، التى لا وجود لها فى النص الإنجليزى . وبطبيعة الحال هناك فرق كبير بين أن نقول إن الدين لا يشكل وحده أساس الهوية القومية ، وهو ما يفيد أنه عامل بين عدة عوامل ، وبين قولنا إن الدين لا يمكن أن يكون أساساً لتلك الهوية ، بما يفهم منه أنه ليس عاملاً من عواملها البتة . ومنه أيضاً قوله عن بطل الرواية : « ولدى سورنجان اقتناع بأنه لن يتزوجها فى النهاية » ، على حين أن عبارة النص الإنجليزى تقول إنه « كان لديه هاجس مزعج بأنه لن يتزوجها فى نهاية المطاف »^(٤) ، وكذلك قوله بعد ذلك بأسطر قليلة : « منزلهم مستأجر لا ملعب فيه ولا مكان للتمشية » ، إذ

(١) ص / ٣٢ (P. 2) .

(٢) ص / ٣٣ (P. 2) .

(٣) ص / ٣٨ (P. 8) .

(٤) ص / ٤٣ (P. 14) .

الدقة تقتضى أن نقول : « لا فناء ولا مكان على الإطلاق يستطيع الإنسان أن يتمشى فيه حافى القدمين »^(١) . فانظر كيف تحول « الفناء » الى « ملعب » ، وكيف سقطت عبارتا « على الإطلاق » و « حافى القدمين » . إن ترجمة الأستاذ زكريا قد حامت حول المعنى ، لكنها لم تستطع أن تقتنصه فى يديها واكتفت بالإشارة إليه من بعيد وعلى نحو ينقصه التحديد .

وفى موضع آخر نجد النص الإنجليزي يقول : « لم يكن سورنجان على يقين مما إذا كان سودهاموى يشعر بأى خوف » ، لكن الأستاذ زكريا يترجم ذلك بقوله : « لم يكن سورنجان متأكدا من مشاعر سودهاموى »^(٢) . وشتان بين شعور الخوف على وجه التحديد وبين المشاعر بإطلاق . كذلك نرى سورنجان فى موقف من المواقف يفكر فى أخته على النحو التالى : « مايا المسكينة . تمنى أن تكون فى أمان » . وليست هذه هى الترجمة الدقيقة للعبارة الإنجليزية التى تقول : « مسكينة مايا ! تمنى أن تعيش »^(٣) . وفى نفس الصفحة نسمع سورنجان يخاطب أمه قائلا : « يوما ما ينبغى أن نموت كلنا . لا

(١) ص / ٤٣ (P. 14) .

(٢) ص / ٥٧ (P. 26) .

(٣) ص / ٥٧ (P. 26) .

ترتاعى هكذا . يزعجنى أن أرى الناس مرعوبين » . والصواب أن تكون الترجمة على النحو التالى : « يوماً ما لا بد أن نموت كلنا على أية حال . بحق السماء لا ترتاعى كل هذا الارتياح . الواقع أنه يزعجنى أن أراكم أيها الناس فزعين » ^(١) . ويقول سورنجان فى الترجمة العربية عن الجماعات الإسلامية فى بنجلاديش : « ولكنك تعلم هذه الحقارة » ، مع أن عبارة الأصل الإنجليزى هى : « ولكنك تعرف هؤلاء الخنازير » ^(٢) . كما يقول عنهم أيضاً فى النص الإنجليزى إنهم « دجالون يحرضون الناس باسم الدين » ، لكن الترجمة العربية تقول إنهم « دجالون باسم الدين » فقط ^(٣) . وهى ترجمة تقريبية أو غير دقيقة كما ترى .

وفى أثناء اضطرابات ١٩٩٢م يدق أحد جيران الهندوس على سودهاموى باب البيت . وما إن يفتح له سودهاموى حتى يدخل ويرتج الباب وراءه فى الحال بسبب شدة الفزع . لكن الترجمة تكتفى بالقول بأنه « دخل البيت وردّ الباب الأمامى » . وتمضى الرواية قائلة إنه بعد

(١) ص / ٥٧ (P. 26) .

(٢) ص / ٦٠ (P. 29) . وقد كرّر هذه الشتيمة بنصها فى موضع آخر من الكتاب

(P. 179) ، لكن المترجم نقلها هذه المرة كما هى (ص / ١٨٥) . أما وصف

سورنجان لهم فى نفس السطر بأنهم « أولاد زنا » فقد حوّل المترجم إلى « أوغاد » .

(٣) ص / ٦٤ (P. 33) .

أن أرتج الباب سأل سودهاموى فى صوت مكتوم (*in a subdued voice*) ، على حين تقول الترجمة إنه سأله « بصوت قلق » (١) .

وتذكر الترجمة العربية أن بعضا من أصدقاء سودهاموى قتلوا أثناء حرب الانفصال عن باكستان ، الذى تسميه الرواية دائما بـ « الاستقلال » ، وأن الباكستانيين « بعد ذلك أخذوا أجسادهم وألقوا بها فى فضاء موحش » . أما الترجمة الإنجليزية التى نقل عنها الأستاذ عصام زكريا فتقول : « إن جثثهم قد أخذت فى شاحنات (*trucks*) وألقيَ بها فى الصحراء (*in the wilderness*) » (٢) .

ويصاب سودهاموى بسكتة دماغية (*a stroke*) تشلّه وتلزمه الفراش ، لكن الترجمة تجعلها مجرد « أزمة صحية » (٣) . وتنسب الرواية إلى المسلمين فى بنجلاديش أنهم « خربوا آلافا كثيرة من منازل الهندوس فى بهولا » ، بينما فى الترجمة أنهم دمروا أكثر من ألف منزل فقط (٤) . وفى موضع آخر نسمع سورنجان فى النص الإنجليزية « يضحك فى صخب » ، لنفاجأ به فى النص العربى « يضحك » فحسب (٥) .

(١) ص ٦٥ / (P. 34) .

(٢) ص ٦٩ / (P. 38) .

(٣) ص ١٢٤ / (P. 104) . وقد تكرر هذا فى ص ١٦٥ / (P. 156) .

(٤) ص ١٢٦ / (P. 26) .

(٥) ص ١٢٧ / (P. 26) .

وحين ينظر بولوك (أحد أصدقاء سورنجان) نظرة غريبة
(strangely) يقول الأستاذ زكريا فى ترجمته إنه « نظر ...
باستغراب » (١) . صحيح أن « الغرابة » موجودة هنا وهناك ، لكن لا
شك أن هناك فرقا كبيرا بين النظرة الغربية والنظرة باستغراب .

وعندما تُختطف مايا يخرج سورنجان مع صديقه المسلم حيدر
للبحث عنها فى أرجاء المدينة . ولكن بعد العودة إلى المنزل دون العثور
عليها يثور فى نفسه الشك فى حيدر وفى صدق تعاطفه فى هذه
المصيبة ويسأل نفسه : هل كان المجهود الذى بذله معه فى البحث عن
أخته « مجهودا صادقا » ؟ لكن هذا السؤال يصبح فى الترجمة العربية
هكذا : « هل بذل مجهوداً هائلا فى البحث عن مايا ... ؟ » (٢) .
« والمجهود الهائل » ليس هو « المجهود الصادق » . أما الأب سودهاموى
فإن أحزانه على ابنته المختطفة تغلبه على نفسه وهو راقد فى السرير عاجزا
عن الحركة ، « وكانت عيناه تمتلئان بالدموع كل حين » ، وهو
ماعتبرت عنه الترجمة العربية بقولها : « مرة أخرى امتلأت عيناه
بالدموع » (٣) . وهى ، كما ترى ، ترجمة ينقصها الإحكام وإصابة
الهدف بدقة . ومثلها ترجمته عبارة " among the reeds " إلى « بين

(١) ص / ١٢٧ (P. 106) .

(٢) ص / ١٦٤ (P. 155) .

(٣) ص / ١٦٧ (P. 157) .

حقول القصب » ، بينما الترجمة الدقيقة تقتضى أن نقول : « بين أعواد الغاب » ^(١) . غير أنه لا بد من المسارعة إلى توضيح أن كلمة « القصب » تعنى « الغاب » أيضاً . لكن عبارة « حقول القصب » سوف تصرف الذهن تلقائياً إلى حقول قصب السكر ، إذ إن « القصب » (بمعنى « الغاب ») لا يُزرع في حقول ، بل ينبت على ضفاف الترع ومصارف المياه . وعلى أية حال فليس فى العبارة الإنجليزية أى ذكر أو حتى مجرد إشارة للحقول .

ويتساءل سورنجان : ألم تحاول أخته الهرب من مختطفها ؟ لكنه يعود فيرد على نفسه قائلاً إنها مهما حاولت فلن تستطيع الإفلات من قبضتهم . فماذا قال عصام زكريا هنا ؟ لقد قال : « ولكن ربما تحاول ولا تستطيع التخلص من قبضتهم » ^(٢) . والفرق بين الأداءين واضح .

وفى اليوم الثانى عشر من أيام الرواية الثلاثة عشر تسمع الأسرة أن جثة فتاة تشبه مايا قد وجدت طافية أسفل جسر جنداريا ، ويسود المنزل صمتٌ مرعب ، فلا صراخ ولا بكاء ولا حتى كلام ، وكأن أقل حديث سيرتد صده عن جدار الصمت الذى يمتد داخل البيت . بيد أن الأستاذ زكريا يترجم ذلك على النحو التالى : « كما لو أن أقل

(١) ص / ١٨٠ (P. 174) .

(٢) ص / ١٨٠ (P. 174) .

جملة تقال سيكون لها صدى على حوائط الصمت التي ترتفع حول البيت »^(١) . فانظر كيف تحول « جدار » الصمت الذي « يمتد داخل البيت » إلى « حوائط ترتفع حول البيت » !

على أن الترجمة المقاربة لا تقتصر على ذلك بل تمتد إلى الأزمنة الفعلية أيضا ، إذ لاحظت أن الأستاذ المترجم مثلا يعامل في كثير من الأحيان جميع أزمنة الفعل الماضي (من ماض بسيط ومستمر وتام) وكأنها كلها ماض بسيط ، أو يجعل الماضي حاضرا . وإليك البيان :

فمثلا يقول النص الإنجليزي عن سورنجان ما ترجمته : « كان لديه هاجس مزعج بأنه لن يتزوجها في نهاية المطاف » ، لكن الترجمة العربية تحول زمن الكلام من الماضي إلى الحاضر (هكذا : « ولدى سورنجان اقتناع بأنه لن يتزوجها في النهاية »)^(٢) . وتقول الترجمة الإنجليزية عن سورنجان أيضا إنه « عندما كان يدرس بمدرسة القرية في ميمسنج اشتبك في جدال ضخم مع ولد اسمه خالد ... » (هكذا بصيغة الماضي البسيط : " he had a massive argument ") ، وذلك على خلاف الترجمة العربية ، التي حولت الزمن من ماض بسيط يدل على أن هذا الحدث قد وقع مرة واحدة إلى صيغة الماضي

(١) ص ٢٠٧ / (P. 204) .

(٢) ص ٤٣ / (P. 14) .

المستمر بما يعنى تكرار الجدال بين الولدين : « أثناء حراسته فى مدرسة القرية فى ميمنسج كان يدخل فى مشادات كلامية مع صبى اسمه خالد . عندما وصلت المشادات إلى ذروتها قام الصبيان بشتيمة كل منهما للآخر بأفحش الكلمات » (١) .

وعند مشاهدة احتراق مكتب الحزب الشيوعى فى المدينة يسأل سورنجان عن السبب فى ذلك ، فيجيبه بعضهم بأن الشيوعيين قد غيروا إستراتيجيتهم ، إلا أنهم رغم ذلك قد فشلوا فى الهرب من غضب المتعصبين المسلمين . لكن الأستاذ عصام زكريا قد أدى هذا المعنى على النحو التالى : « البعض أجاب بأن الشيوعيين غيروا إستراتيجيتهم بالفعل ، ولكنهم لا يستطيعون الهرب من غضب المتعصبين » (٢)

ومعنى ذلك أن الشيوعيين كانوا لا يزالون آنذاك محصورين لا يستطيعون الإفلات من غضب المتعصبين ، على عكس ما جاء فى الأصل الإنجليزى ، الذى يشير إلى الحادث على أساس أنه قد وقع وانتهى الأمر . والطريف أن المترجم قد عكس الآية فى الجملة التى تلى ذلك ، إذ نراه قد حوّل الفعل من المضارع المستمر (الدال على أن الأمر المشار إليه كان يحدث آنذاك) إلى الماضى (الذى يعنى أن الحدث قد وقع

(١) ص ٥٦ / (P. 25) .

(٢) ص ٦٠ / (P. 28) .

وانتهى الأمر) ، ثم عاد فعكسها مرة أخرى بتحويله شيئا قد وقع وانتهى إلى شىء لم يحدث بعد . وأسوق الآن الجملة كما وردت فى الأصل الإنجليزى ، ثم مترجمة بقلمى إلى العربية ، ثم أتبعها أخيرا بترجمة عصام زكريا :

**Comrade Farhad had apparently died (1) and a grand funeral was being organized, a Milad had been called which had been attended by all (2).*

** وقد مات الرفيق فرهد فيما يبدو . وهناك جنازة ضخمة يتم تنظيمها الآن ، وأقيم تأبين حضره الجميع .

*** الرفيق فرهد مات على ما يبدو . وهناك جنازة ضخمة تم تنظيمها والدعوة إلى حفل تأبين يحضره الكل (٣) .

وبالمثل نجد مترجمنا يقول عن سورنجان : « اليوم كما لو أن قوة غربية تنزع عنه صوته » ، بما يفيد أن الأمر كان لا يزال يحدث آنذاك ، بينما يقول الأصل الإنجليزى : « اليوم كما لو أن قوة غربية كانت قد

(١) استخدمت الرواية الماضى التام هنا ، لأن السرد فيها يتم بصيغة الماضى البسيط ، وهذه الجملة قد وردت فى صيغة الكلام غير المباشر . أما فى ترجمتى فقد لجأت إلى الماضى البسيط على أساس أننى أنقل كلام المتحدث مباشرة .

(٢) (P. 28) .

(٣) ص ٦٠ / .

تركته أبكم» (١) . وكذلك نجده يعلق بلسان سورنجان على أحداث العنف الطائفي في بنجلاديش قائلا : « لا أكاد أصدق أن تحدث مثل هذه الأشياء في دولة علمانية » ، على حين أن الترجمة الدقيقة ينبغي أن تكون على النحو التالي : « لا أكاد أصدق أن هذا الأمر كان يمكن أن يحدث في دولة علمانية » (٢) . كذلك ففي الوقت الذي تقول فيه الترجمة الإنجليزية على لسان حيدر صديق سورنجان ما معناه : « هناك اجتماع في بيت رئيس الحزب اليوم أيضا . وربما كانوا يرتبون الآن للقيام بمسيرة » نجد الترجمة العربية تقول : « ... قد يرتبون لمسيرة » (٣) . والفرق بين استعمال الزمن في الترجمتين غير خافٍ .

ويتساءل سودهاموى (أبو مايا ، التي اختطفها المختطفون) : « ترى لماذا لم يكن من الممكن أن يموت هو وتبقى مايا حية ؟ » . لكن العبارة تتحول في النص العربي إلى : « لماذا لا يستطيع أن يضحى بحياته في سبيل إنقاذ مايا ؟ » (٤) . وفي اليوم العاشر تقول الكاتبة إن كيرونموى « كانت قد أتت » إلى غرفة سورنجان مرة في الصباح ، لكن المترجم العربي لا يهتم بهذا التدقيق الزمني ويؤدى العبارة على

(١) ص ٦٤ / (P. 33 - 34) .

(٢) ص ٦٦ / (P. 35) .

(٣) ص ١٦٥ / (P. 155) .

(٤) ص ١٦٧ / (P. 157) .

هذا النحو : « جاءت كيرونموى إلى حجرته فى الصباح » (١) .

ويقول سورنجان فى رده على صديقه الذى أخبره بأن الجماعة الإسلامية قد نبشت المقابر الجماعية لهؤلاء الذين سقطوا أثناء حرب الانفصال عن باكستان : « ... وبمرور الأيام سوف يحطمون أيضا بنجلاديش الصامدة واستقلال الوطن الذى نالوه بكفاحهم ... » ، لكننا نفاجأ بأن هذا المعنى قد تُرجم على النحو التالى : « حتى إذا حطموا الاستقلال غير المرئى والوطن نفسه بكل من حاربوا لأجله فمن يمكنه أن يمنعهم ؟ » (٢) .

ولأن الفعل الإنجليزية فى الجملة التالية : *Sure, acquaintanc-* " *es and Muslim friends visited them once in a while* " (٣) جاء فى صيغة الماضى البسيط رأينا المترجم ينقله نقلا حرفيا على هذا النحو : « بالتأكيد معارفهم وأصدقاءهم المسلمون قاموا بزيارتهم من وقت لآخر » (٤) . لكن لا بد من التنبيه إلى أن هذه الصيغة مثلما تُستخدَم للدلالة على وقوع الحدث فى الماضى مرة واحدة ، تُستخدَم كذلك للدلالة على تكرر وقوعه فيه . والترجمة الدقيقة للعبارة ينبغى أن تكون

(١) ص ١٩٣ / (P. 193) .

(٢) ص ٢٠٨ / (P. 205) .

(٣) P. 215 .

(٤) ص ٢٢٠ / .

هكذا : « بالتأكيد كان معارفهم وأصدقائهم يزورونهم من آن لآن » ،
وذلك بسبب مجيء عبارة « *once in a while* » : مرة كل فترة / من
آن لآن » ، التي تعنى تكرر وقوع الزيارة .

ويدخل فى عدم الدقة أيضا نقل المترجم بعض أسماء الأعلام نقلا
لا يطابق النطق الصحيح لها فى الإنجليزية ، التي نقل عنها . من ذلك
اسم أم سورنجان ، الذى يكتبه هكذا : « كيرونموى » ، والذى كان
ينبغى أن يكتب على النحو التالى : « كيرونموى » ، إذ هو بالإنجليزية
" *Kironmoyee* " . وقد كُتِبَ عشرات المرات (وربما مئاتها) بهذه
الطريقة ، لكن المترجم كتبه ناقصا ياء فى هذه المرات العشرات أو المئات
أيضا .

ومثل ذلك كتابته اسم " *Nonigopal* " قريبا سودهاموى
« نونيجوبال » ، مع أن جيمه كما ترى جيم قاهرة ، وبأوه باء ثقيلة ،
أى أنه كان ينبغى أن يكتب هكذا : « نونيجوبال » . وهذا الاسم
قد تردد عدة مرات فى الفصل العاشر . وفى ذات الفصل ورد اسم
« *Manikgonj* : مانيكجونج »^(١) ، الذى كتبه المترجم على
هذا النحو : « مانيكجونى » . ولعله سهو منه ، إذا ربما قرأ حرف

(١) ص ١٩٣ / (P . 194) .

الـ « z » على أنه « i » . ومن هذا أيضا كتابة اسم بطل « الأم »
لمكسيم جوركي « Pavelvolascov » على النحو التالي :
« بايلولاسوف »^(١) ، وكذلك كتابة اسم « Jamaat Shibeer » :
جماعة شبير « هكذا : « جماعة شبير »^(٢) . وقد تكرر هذا الخطأ .

على أن المسألة لا تقف عند عدم الدقة في نقل المعنى ، بل تتجاوز
ذلك إلى الترجمة الخاطئة أحيانا :

فمثلا يقول النص الإنجليزي عن أخت سورنجان في بداية الفصل
الأول إنها « كانت تذرع الغرفة ذهوبا وجيئة ثم شرعت تدور في أرجاء
البيت دون هدف »^(٣) ، لكن إذا عدنا إلى الترجمة وجدناها تقول
إنها « دخلت وخرجت ، ثم بدأت تمشى بلا هدف في أنحاء
البيت »^(٤) ، مع أن عبارة " *she paced up and down the room* "
لا يمكن أن تعنى هذا الذى قاله المترجم بحال .

وحين يدمر الوحوش المتعصبون المسجد البابرى فى الهند تعلق
الرواية على آثار هذا العمل الوحشى قائلة ، ضمن ما قالت ، إنه « قد

(١) ص / ٦٠ (P . 28) .

(٢) انظر مثلا ص / ٦٠ (P . 29) .

(٣) P . 2 .

(٤) ص / ٣٢ .

أضرَّ بالطائفة الهندوسية أيضا (It) had damaged the Hindu Community as well " (١) . أما الترجمة فإنها تقول ما نصه : « كما أنه يضر بالوحدة الوطنية بين الهند أيضا » (٢) ، وهو شيء مختلف إلى حد كبير كما لا يخفى على أحد .

وفي ترجمة الفقرة المقتبسة من خطاب مجيب الرحمن في أنصاره قبيل انفصال باكستان الشرقية عن أختها الغربية يخطئ الأستاذ زكريا ، إذ بدلا من أن يقول : « إذا أُطْلِقَتْ رِصَاصَةٌ واحدة أو مات واحد من رجالي فإنني أطلب منكم جميعا أن تحولوا بيوتكم كلها إلى قلاع » ، وهي الترجمة الصحيحة لما قاله مجيب الرحمن ، نراه يقول : « ... فإنني أطلب أن تتركوا بيوتكم لتقيموا المتاريس » (٣) . ولست أفهم كيف وقع في هذه الغلطة .

وفي الصفحة الأربعين من الترجمة العربية نجد خطأين في أرقام الإحصائيات ، إذ جاء فيها أن نسبة الهندوس في عام ١٩٤١ م لم تتجاوز ٢٨ ٪ ، والصواب أنها لم تتجاوز ٣٨ ٪ (٤) . أما نسبة الـ ٢٨ ٪ فهي خاصة بإحصاء ١٩٤٧ م كما جاء بعد ذلك بسطرين في النص

(١) . P. 3 .

(٢) ص / ٣٣ .

(٣) ص / ٣٨ (P. 8) .

(٤) . P. 11 .

الإنجليزى . وفى إحصاء ١٩٨١م يقول النص العربى إن نسبتهم كانت ٢١١٪ (١) ، على حين أنها فى الأصل الإنجليزى ١٢١٪ (٢) .

وحين يمرض سودهاموى وينتقل إلى المستشفى كان بلال صديق ابنه مواظبا على زيارته . وتمضى الرواية فتقول إنه « لم يكتف فقط بالسؤال عن حالة سودهاموى الصحية ... بل ... » ، إلا أن الترجمة العربية تخطئ هنا قائلة إنه « لم يتوقف لحظة عن التفكير فى صحة سودهاموى ... » (٣) . وحتى يحكم القارئ بنفسه ها نحن هؤلاء ننقل إليه العبارة الإنجليزية : *He did not stop at merely enquiring about Sudhamoy's health* " . وواضح أن المترجم لم ينتبه إلى الفرق بين " *to stop at doing something* " و " *to stop doing something* " ، فالأولى تعنى التوقف عن فعل الشئ ، أما الثانية فمعناها الاكتفاء بفعله .

وفى الصفحة الخامسة والعشرين من الترجمة الإنجليزية نقرأ العبارة التالية فى معرض وصف سورنجان بسعة الأفق ورحابة الفكر والشعور : « أعلن (سورنجان) أنه قبل كل شئ إنسان أولا وبنغالى العرق ثانيا » .

(١) ص / ٤٠ .

(٢) P. 11.

(٣) ص / ٥٥ (P. 24) .

أما فى الترجمة العربية فقد « أعلن سورنجان أنه بعد كل شىء وقبله إنسان بنغالى العرق »^(١) .

ويترجم الأستاذ زكريا عبارة *" Kaiser broke through the crowd "* قائلاً : « انشق قيصر عن الزحام »^(٢) ، رغم أن المعنى الصحيح هو العكس تماماً ، علاوة على عدم معقولة ما قال ، إذ كيف ينشق الإنسان عن الزحام ؟ إن الزحام ، بالعكس من ذلك ، هو الذى ينشق عن الإنسان .

وبنفس الطريقة المعكوسة ينقل المترجم عبارة المؤلفة *"Dusk had fallen over the city "* بقوله : « ضوء الغسق كان يسقط على المدينة »^(٣) ، مع أن المقصود هو أن الظلام قد هبط . و« الظلام » عكس « الضوء » بطبيعة الحال .

وبنفس الطريقة أيضاً يترجم عبارة *" Suranjan choked on his food "* بقوله : « ابتلع سورنجان طعامه »^(٤) . والترجمة الصحيحة هى أن نقول : « غصّ بطعامه » .

ويقع الخطأ كذلك فى ترجمة كلمة « *the Jamaatis* » ، إذ

(١) ص / ٥٦ .

(٢) ص / ٦٤ (P. 34) .

(٣) ص / ١٢٤ (P. 103) .

(٤) ص / ١٢٥ (P. 104) .

يجعلها الأستاذ المترجم « الجماعات »^(١) . والصواب هو « الجماعتيون » ، أى أعضاء الجماعات الإسلامية فى بنجلاديش .

وعندما تتهم الرواية المسلمين فى بنجلاديش بأنهم ، أثناء اعتدائهم على بيوت الهندوس وتدميرها وسرقة ما فيها ، قد أخرجوا الأسماك من بركها " *from their ponds* " نجد المترجم يقول إنهم « أخرجوا الأسماك من أحواضها »^(٢) . والأحواض غير البرك بالتأكيد .

وعلى أية حال فهذه الغلطة لا تصل فى فداحتها إلى ما وصل إليه الخطأ فى ترجمة كلمة " gym " (اختصار " *gymnasium* ") بـ « دار عبادة »^(٣) ، إذ لا علاقة بين الأمرين من قريب أو بعيد : لا من ناحية المعنى ، ولا من ناحية الهجاء فى أية من اللغتين . ومن هنا فمن الصعب نسبة ذلك إلى السهو .

وفى أسفل الصفحة الرابعة والخمسين بعد المائة نجد سورنجان يشك فى اهتمام حيدر بالبحث معه عن مايا أخته ويقول لنفسه : « ولو فكرنا فى الأمر فلن يبدو أن البحث كان يمثل لحيدر كبير أهمية » ، لكن الترجمة العربية تقول : « فكر سورنجان فى أن البحث نفسه لم

(١) ص / ١٢٦ (P. 105) ، وكذلك ص / ١٨٣ (P. 176) .

(٢) ص / ١٢٦ (P. 105) .

(٣) مثلما أن " rep, vet, doc " مثلا اختصار لـ " representative, veteri- nary, doctor " على الترتيب .

يكن عملا كبيرا بالنسبة لحيدر ، (١) .

هذا ، ولا بد من تكرير القول بأن هذه الملاحظات هي حصيلة المقارنة بين نحو أربعين صفحة فقط في النص العربي وما يقابلها في الأصل الإنجليزي . وقد أغفلت ملاحظات أخرى في هذه الصفحات نفسها التي لا تمثل إلا سدس النص الإنجليزي تقريبا .

وبعد ، فإن ثناء الأستاذ رجاء النقاش على ترجمة الرواية يشير قضية شديدة الأهمية ، وهي كيف يُصدر ناقد أدبي ، وبخاصة إذا كان مخضرمًا ومشهورًا كرجاء النقاش ، حكما أدبيا كهذا الحكم الذي أصدره دون أن يقوم بما يستوجبه من الفحص والدراسة ؟ إننى لا أقول إن هذه الترجمة لا تصلح بأى حال ، بل قلت إن فيها جانبًا سليما ، وجانبًا آخر تقريبا ، وجانبًا ثالثًا خاطئا . والجانبان الأخيران ليسا بالصغيرين . وهو جهد مشكور من الأستاذ زكريا رغم كل شيء ، إذ يكفي أنه عرفنا على أية حال بما قالته تسليمة نسرین ، فضلا عن أن واحدا مثلى ما كان ليفكر فى البحث عن الترجمة الإنجليزية ما لم يكن عصام زكريا قد نقلها الى العربية . ويذكرنى حكم الأستاذ رجاء النقاش بحكم المسؤولين عن إصدار « روايات الهلال » على ترجمة د . محمد مندور لرواية فلوبيير « مدام بوفارى » عن الفرنسية ، التي

(١) ص ١٦٤ / (P. 154) .

صدرت عن دار الهلال (في جزأين في شهرى إبريل ومايو ١٩٧٧م) ،
إذ وصفوها بأنها « ترجمة كاملة ودقيقة » (١) ، مع أننى قمتُ
بالمقارنة بين الأصل الفرنسى وترجمة د . مندور وجدت فيها أخطاء
كثيرة فاحشة ، علاوة على الأغلط النحوية والصرفية ، مما يملأ بضع
عشرات من الصفحات . وقد وقفت فى البداية حائرا فى تفسير الأمر ،
إذ كيف يقع د . مندور ، وهو الذى قضى فى فرنسا ما يقرب من عشر
سنين ، فى مثل هذه الأخطاء التى لا يقع فيها إلا الشدأة ؟ ثم انتهيت
إلى أنه قد يكون ترجمها فى بدايات إقامته فى فرنسا قبل أن تستحصد
معرفته بلغة الفرنسيين . أما الأخطاء النحوية والصرفية فقد وجدت
أشباها لها فى خطابه التى كان يرسلها من باريس إلى أستاذه الدكتور
طه حسين فى تلك الفترة نفسها والتى قرأتها منذ عدة أشهر فى كتاب
« طه حسين ومعاصروه » الصادر فى سلسلة « كتاب الهلال » فى مايو
١٩٩٤ م . ولست أظن هذا الحكم الذى حكمتُ به دار الهلال على
ترجمة د . محمد مندور لرائعة فلوير إلا مجرد حكم مرسل ليس له
أساس من المقارنه بين النص الفرنسى ونظيره العربى .

ويمكن أن نلحق بهذا الباب أيضا نشر بو بكر حمزة فى صدر

(١) انظر ظهر غلاف كل من الجزأين المذكورين .

ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم^(١) ما كان قد كتبه الشيخ أحمد بن حمزة الرفاعي خادم الحرم النبوي الشريف في الستينات من تقرّظه له وتمنيه من صميم قلبه الانتشار والرواج لتلك الترجمة التي لم تكن قد ظهرت بعد ، ودعائه له بأن يجزيه الله الجزاء الأوفى .

وقد قمتُ ، وأنا في لندن منذ سنوات ، بدراسة هذه الترجمة ، وكتبت عنها فصلا بيّنت فيه عددا من الأخطاء الخفيفة التي وقع فيها الشيخ بو بكر حمزة والتي ما زلتُ أتعجب كيف صدرت عن مسلم يؤمن بنبوّة محمد ﷺ وعصمة الوحي ، إذ ادّعى أن الآيات التي تروى قصة نوح عليه السلام مع ابنه في سورة « هود » قد وضعت في القرآن في غير موضعها ، وأن الآيتين الثانية والخمسين والرابعة والخمسين من سورة « الأنفال » كانتا في الأصل آية واحدة وصلت اللجنة التي شكّلت لجمع القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنه بروايتين مختلفتين ، لكن تلك اللجنة لما لم تستطع أن تحدد الرواية الصحيحة منهما قامت بإثبات الروايتين في المصحف كما هما ، وغير ذلك مما أوردته في الفصل الرابع من الباب الأول من كتابي « المستشرقون

(١) كان وقتها شيخ المعهد الإسلامي التابع لمسجد باريس . وهو عربي من أصل جزائري .
وتقع الترجمة في مجلدين كبيرين . وكان قد شرع فيها عام ١٩٦٦ م ، وظهرت في باريس عام ١٩٧٢ م .

والقرآن « ورددتُ عليه وأظهرت تهافته وعواره . والسؤال الآن هو : لماذا أقدم المترجم على نشر هذا التقريظ في صدر ترجمته ، وهو أول من يعرف أن الشيخ الرفاعي لم يقرأ هذه الترجمة بل لا يستطيع أن يقرأها لأنه يجهل اللغة الفرنسية أصلاً ؟ أعتقد أنه أراد أن يوهم القراء بأن ثناء الشيخ الرفاعي الشديد ورجاءه الانتشار والرواج لترجمته ودعاءه الحار له إنما يعنى أنه راضٍ عن الترجمة ومحببٌ ماجاء فيها .

على أن أشد الأحكام التي من هذا النوع إغراقاً في المبالغة هو وصف د . عبد الرحمن بدوي ترجمة المستشرق البريطاني آربري للقرآن إلى الإنجليزية بأنها أجمل الترجمات القرآنية في لغات العالم قاطبة (١) . وهو حكم عجيب يستحيل تقبله ، إذ من ذلك الذي يستطيع الادعاء بأنه قد قرأ كل ترجمات القرآن في جميع اللغات وفاضل بينها ووجد أن ترجمة آربري هي أجملها ؟ إن ترجمة آربري هي في الواقع جميلة ، ولكن من لنا بأنها أجمل الترجمات في كل اللغات ؟

ومنذ نحو سنة نشرت سلسلة « كتاب الهلال » (في عدد سبتمبر ١٩٩٥ م) ترجمة كتاب قاسم أمين " *Les Egyptiens* " بقلم

(١) انظر كتابه « موسوعة المستشرقين » ، ط ٢ / دار العلم للملايين / بيروت /

حفيدة وسميّه قاسم أمين . وهي ترجمة ناقصة فصلين ونصفا . وكان من واجب الأستاذ المترجم ودار الهلال معاً أن ينبها القارئ إلى هذا . كذلك كان ينبغي على دار الهلال أن تعهد إلى من يراجع الكتاب حتى يخرج للقراء بريئاً من ضعف الأسلوب وأخطاء الترجمة مما اكتشفته حين راجعت الكتاب على أصله الفرنسي ، الذي كنت قرأته أيام أن كنت أدرس بأكسفورد . وقد قمت ، عقب صدور الترجمة ، بعمل دراسة عنها ضممتها ملاحظاتي حول ما وجدته فيها من نقص وأرسلتها إلى مجلة « إبداع » ، ولكنها لم تُنشر حتى الآن !

والغريب أن الأستاذ المترجم يقول في مقدمة الكتاب إن هذه أول مرة يظهر فيها كتاب جده باللغة العربية ^(١) ، مع أن هناك ترجمتين للكتاب ظهرتا قبل ذلك بوقت طويل : إحداهما قام بها الأستاذ محمد البخارى رحمه الله ونشرها د . محمد عمارة في منتصف السبعينات ضمن « الأعمال الكاملة لقاسم أمين » ، والثانية بقلم الأستاذة سعاد التريكي وصدرت عن « بيت الحكمة » في تونس عام ١٩٩٠ م . وكلتا الترجمتين أفضل من ترجمة الأستاذ قاسم أمين (الحفيد) ، فضلا عن أنهما ترجمتان كاملتان .

ولا بأس أن نشير كذلك إلى الترجمة التي نشرت في عدد سبتمبر

(١) انظر ص / ٧ من مقدمة كتاب « المصريون » / كتاب الهلال / سبتمبر ١٩٩٥ م .

١٩٩٥ م أيضا من مجلة « القاهرة » لدراسة المستشرق الفرنسى
چاك بيرك عن القرآن الكريم ، والتي قام بها وائل غالى (شكرى) .
وهى ترجمة لا تطاق بسبب ما تعجّ به من ركافة ورداءة وغموض .
ومن حقنا أن نتساءل : كيف أفسحت مجلة « القاهرة » صدرها
لهذه الترجمة التى استغرقت بضع عشرات من الصفحات ذات القطع
الكبير ؟ أليست هذه مهزلة ؟

ملاحق الكتاب

١ - تسليمة نسرین *

ولدت تسليمة نسرین فى الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٦٢م بمدينة ميمنسج فى بنجلاديش . وقد حصلت على درجة البكالوريوس من كلية الطب بتلك المدينة ، واشتغلت طبية حكومية لعدة سنوات . وبدأت حياتها الأدبية بكتابة الشعر ونشره ، ثم أخذت بعد ذلك تكتب عمودا لعدد من الصحف البنجلاديشية فى ذات الوقت ، إلى جانب الروايات والمقالات أيضاً .

وقد حصلت تسليمة على جائزة مانندا پوراسكار فى كلكتا عام ١٩٩٢م ، وجائزة ناتوسابها پوروسكار فى دكا عام ١٩٩٣م .

وسبب تهديد بعض المتشددین الإسلاميين لها بالقتل فرّت تسليمة نسرین إلى السويد فى أغسطس ١٩٩٤م . وكانت قد ظلت مختفية لعدة أشهر من جراء الدعوات المطالبة برأسها ، إذ كانت قد

(*) الوثائق الثلاث التالية من نشر " Index on Censorship " . وقد زودنى بها مشكورا أحد طلابى فى الدراسات العليا بأداب عين شمس ، وهو الباحث محمد مصطفى الديبى ، جزاه الله خيرا . وقد قمت بترجمتها من اللغة الإنجليزية .

كتبت مقالا صحفيا دعت فيه إلى وجوب إعادة النظر في القرآن ، مما أشعل غضب الأصوليين المسلمين ضدها .

وقد رصدت الجماعات الإسلامية المتشددة مكافأة قدرها خمسة آلاف من الدولارات لمن يقتلها . ومن المفروض أن تَمَثَلُ أمام المحكمة فى بنجلاديش بدعوى إيذائها للشعور الدينى لدى المسلمين . وقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز عن ناطق بلسان التحالف المكون من ثلاث عشرة جماعة أصولية قوله : « إذا لم تقم الحكومة بإعادتها إلى البلاد ومحاكمتها فإن الشعب سوف يسقط هذه الحكومة ويتولى محاكمة زعمائها لما اقترفوه من خيانة للإسلام » .

وقد ردت تسليمة على ذلك بأن أقوالها قد حُرِّفَتْ ، لكنها أضافت قائلة : « لا بد من إحداث تغييرات فى القوانين الجامدة التى تمنع كثيرا من النساء فى بنجلاديش من العمل خارج البيت » .

٢ - حقوق النساء

بقلم تسليمة نسرين

أحب أن أعبر عن عرفاني الصادق بالجميل لمنظمى هذا المؤتمر على دعوتهم لى لأكون بينكم هنا .

لقد أقبلت من بنجلاديش البعيدة . ورغم أن عدد سكان ذلك البلد يبلغون مائة وعشرة ملايين نسمة فإنهم ليسوا فى الواقع سوى أمة صغيرة فى شبه القارة الهندية . إن بنجلاديش هى إحدى أفقر عشرين دولة فى العالم ، لكن اللغة البنغالية والشعب البنغالى أبعد ما يكونان عن الفقر والحرمان .

وقد أنشئت باكستان الشرقية ، التى أصبحت بعد ذلك بنجلاديش ، فى ١٩٤٧ م ، عام الحصول على الاستقلال ، وذلك باقتطاع جزء من المنطقة التى تتحدث البنغالية . وكانت باكستان الشرقية جزءا من باكستان الكبرى ، أما الجزء الآخر فكان يقع على بعد آلاف الأميال غربى الهند . وكانت هذه الدولة الفريدة والمستحيلة نمرة من ثمار الاستعمار الأجنبى . ويتقسيم الهند خلق المستعمرون هذه الدولة الفريدة للأقلية المسلمة فى شبه القارة الهندية . ورغم أن

هذه الأمة قد أنشئت على أساس من الدين فإن الناس في باكستان الشرقية سرعان ما تنبهوا إلى أن المسلمين في غرب باكستان يفرضون سلطانهم الاستبدادي على مسلمي شرق باكستان . ليس ذلك فقط ، بل إن باكستان الغربية قد حاولت أن تفرض سيطرتها على لغة باكستان الشرقية وثقافتها باسم الدين . ونتيجة لهذا الظلم انفجرت الثورة ، التي تبعها حرب التحرير . وفي النهاية برزت بنجلاديش أمة مستقلة ذات سيادة .

وكنت في التاسعة من عمري حينذاك . ولا تزال ذكريات طفولتي تمتلئ بأحداث الحرب والميلاد الدموي المؤلم للأمة الجديدة . وقد نذرت نفسي منذ ذلك الحين لخدمة الهدف السياسي السامي المتمثل في بنجلاديش المستقلة .

ولقد عرفتُ بكل فخر أن بنجلاديش هي وطن البنغاليين . ورغم أن المسلمين يشكلون الأغلبية في بنجلاديش فإن هناك ناساً من ديانات أخرى يعيشون إلى جانبهم في ذلك البلد من بوذيين ونصارى وهندوس . إن بنجلاديش بلد ذو ثقافة مختلطة ، وهذه الثقافة هي في الحقيقة من صنع شعب ينتمي إلى عدة ديانات .

ولو أنكم أضفتم إليهم أولئك البنغاليين الذين يعيشون في الهند

لارتفع عدد الناس الذين يتحدثون البنغالية إلى نحو مائتى مليون .
وعندما كبرتُ ووعيتُ أصبحتُ أدركُ بفخرٍ قيمة التراث الغنى لهذه
اللغة . إن الأدب البنغالى المكتوب يرجع على أقل تقدير إلى ألف
سنة مضت . وفوق ذلك فإن هذه اللغة ، مثلها فى هذا مثل أنهار
بلادى ، تتدفق منذ مئات السنين . وفى الواقع هناك فيضان من
الإنتاج الأدبى البنغالى منذ القرن التاسع عشر . وأنا هنا أشير إلى
أدب البنغاليين كليهما ، لأننى رغم التقسيم السياسى والجغرافى أنظر
إلى الثقافة والأدب البنغاليين على أنهما شىء واحد لا يقبل
الانقسام .

وعندما أتأمل كنوز الأدب البنغالى الحديث بعظمته وثرائه وتنوعه
فإننى لا أستطيع أن أعد نفسى أكثر من مجرد كاتبة عادية جدا .
وأعتقد أنكم تعرفون أن الكاتب البنغالى العظيم رابندرانات طاغور قد
فاز بجائزة نوبل لعام ١٩١٣ م ، ثم لم يحدث أن فاز بهذه الجائزة
أحد ممن يكتبون بالبنغالية . لكننى أستطيع أن أوكد لكم أننا نقرأ منذ
الثلاثينات من هذا القرن أعمال كثير من الشعراء والروائيين البنغاليين
الذين يضاھون أعظم الأدباء فى العالم . وإليكم الآن أسماء عدد
منهم ممن يُعدّون عظماء بكل المقاييس ، وهم تاراشنكار بنديوادياى

وبيهوتيهوسن بنديويادياى ومانك بنديويادياى وسيد ولى الله وقاضى نصر الإسلام والشاعر چيباناندا . وهناك كثير من الشعراء والروائيين وكتاب القصة القصيرة الجادين الذين يكتبون بالبنغالية حاليا والذين يحتل بعضهم مكانة كبيرة فى نظرى وليست لدى الشجاعة لمقارنة نفسى بهم . لكننى بكل تواضع أستطيع أن أقول عن نفسى إننى ، وإن كنت كاتبة صغيرة بالقياس إلى غيرى ، يكفينى أننى مختلفة عنهم . فأنا لست شيئا آخر غيرنفسى . إننى وحيدة . إننى مسافرة تعانى من الشعور بالوحدة . إننى أسير وحدى فى طريقي الخاص بى . وهأنذى أرى أن رحلتى الموحشة قد أتت بى إلى هذا البلد البعيد .

والحق أنه لم يدرُ بخلدى أننى سأكون كاتبة فى يوم من الأيام . لقد بدأت أقرض الشعر منذ الطفولة ، وكان أخى الأكبر يصدر مع أصدقائه مجلة شعرية مما يسمى مجلة صغيرة . وقد نشرتُ إنتاجى أول ما نشرته هناك فى تلك المجلة ، لكن ليس فى هذا أى شيء غير عادى . لقد كتب أحد الأجنب ذات مرة : فى دبلن كل الناس روائيون ، وفى كلكتا كل الناس شعراء . وهو ما يصدق كذلك على دكا عاصمة بنجلاديش ، التى يقوم إلى جانبها عدد آخر من المدن

البنغالية الكبرى . وكانت عيناى تفتحان شيئا فشيئا فى الوقت الذى كنت مستمرة فيه فى كتابة الشعر . وكنت أرى الفرق الكبير بينى وبين أخى ، إذ كانت القيود تحيط بى من كل جانب . وهذا الفرق موجود فى كل مكان بين الأولاد والبنات الذين يدرسون معا فى الكليات .

ثم بدأت أدرس الطب . ووالدى هو أيضاً طبيب نذر حياته للعلم والمنطق . وهو الذى ألهمنى دراسة الطب الحديث ، تلك الدراسة التى جعلت منى فتاة عقلانية . وهنا بدأت فى إلقاء الأسئلة . ورأيت أنه لا يصح الحكم على أى سؤال بأنه لا يجوز . وفوق ذلك فإن من حقى أن أطرح ما أشاء من الأسئلة حول أى موضوع . وقد آلمنى ما كانت تعانيه النساء المريضات فى المستشفى من سوء التغذية ، فضلا عن جهلهن وخوفهن ، فرأيت أنه لا بد لى من عمل شىء ما . لكننى كنتُ محرومة من جميع الحقوق ومن الحرية . وقد ارتبط هذا السؤال الأساسى بأسئلة أخرى كثيرة ، مثل : أليس للنساء الحق فى التعليم ؟ أليس لهن الحق فى التمتع بالصحة الطيبة والحياة السعيدة ؟ أم تراهن لم يُخلَقْنَ إلا للحمل والولادة ، وليس لحياتهن من معنى سوى خدمة الذكور ؟ أمن المعقول أنهن قد حُرِمْنَ من كل إحساس خاص بالبهجة والمسرة والتطلع ؟

لقد عبرت في شعري ونثرى وكل نتاجى الأدبى عما قاسته المرأة من حرمان وما وقع عليها من استغلال طوال قرون فى ظل هذا الوضع ، وكان صوتى عاليا . وهذه هى الجريمة التى أدت بى إلى مغادرة وطنى . ولكن على الرغم من أننى قد أتيت إلى الغرب بطريقة شرعية وبإذن من الحكومة ، فإننى لا أعرف متى يمكننى العودة إلى بلادى . ذلك أن القضية المرفوعة ضدى لا تزال قائمة ، وكذلك حملة الكراهية التى أثارها ضدى الجماعات الأصولية . وهم حتى الآن مازالوا يطالبون بإعدامى شتقا أمام الملا .

وحجتهم فى ذلك أننى قد آذيت المشاعر الدينية لدى غالبية الشعب . وقد رفضوا أن يستمعوا إلى كلماتى البسيطة ، وحاولوا على العكس من ذلك إثارة الشعب المعروف بنزعه الدينية ضدى ، وذلك باتهامى بأنى قلت ما لم يكن ينبغى أن أقوله . لقد كنت أقول دائما إن من غير الممكن تغيير قدر المرأة مادنا نتمسك بالقيود التى تفرضها عليها الكتب المقدسة . ومن رأى الكثيرين أنه لا بد من تغيير الشريعة ، لكنى أرى أنه لا يمكن عمل أى شىء ذى بال عن طريق تعديل التشريعات الدينية . إننى أريد قانونا مدنيا موحدًا يطبق على الرجال والنساء جميعا .

والحق أنه لا يوجد أى غموض أو شكّ فى كلامى عن الدين والكتب المقدسة . وإذا كنت أنا وكثيرون غيرى نستطيع أن نرفض النظام الدينى ونرى هذا الرفض حقًا من حقوقنا ، فإن لغيرنا أيضا الحق فى أن يتمسكوا بأديانهم . لكن هذا شىء ، واستغلال الدين فى إرهاب أصحاب الديانات الأخرى والانحطاط بالمرأة إلى مرتبة الأمة هو شىء آخر تماما .

والواقع أن ثورتى إنما تنصب على هذا اللون من « التشدد الدينى » كما يسمونه . وهناك مثل قديم يقول إن الشيطان نفسه يستشهد فى كلامه بالكتاب المقدس . لكننى اكتشفت أن الأصوليين لا يرضون بمجرد الاستشهاد بالكتب المقدسة . إنهم يجعلون من الدين سيفًا يمتشقونه لتجريد المرأة من إنسانيتها وحقوقها . والحق أن اضطهاد النساء فى بلادى يتم الآن باسم الدين على أشكال مختلفة . إننا نعرف ذلك كله ، ونرى كيف أن النساء يتساقطن واحدة وراء الأخرى ضحايا لفتاوى المشايخ ، الذين يعزفون على أوتار كثير من آيات القرآن للإبقاء على النساء مكبلات خلف الحجاب . وهناك أكثر من ألف منظمة غير حكومية تعمل فى بنجلاديش وتقوم بأنشطة تنمية . وتساهم كثير من المؤسسات الأجنبية بسخاء فى أموال هذه

المنظمات . وقد استفادت المرأة الريفية أيما استفادة من هذا النشاط ، لكن المشايخ يحرضون الشعب منذ فترة ضد هذه المنظمات . بل إنهم قاموا أيضا بحرق المدارس ومنع النساء من الخروج من المنازل . وهذا الظلم يعود بنا إلى القرون الوسطى ، وهو ظلم موجّه أيضا إلى الكتاب الذين يؤمنون بالتسامح الديني ، ويقفون في وجه الاضطهاد الذي يمارس باسم الإسلام ضد أصحاب الديانات الأخرى ، ويجذون الدولة العلمانية ، ويعملون لبناء مجتمع حديث قائم على امتزاج الثقافات . ولست بالنسبة للمشايخ أكثر من حجة يتخذونها لفرض مواقفهم وآرائهم . وهم يهدفون إلى جعل بنجلاديش دولة دينية يكون فيها جميع الأقليات مواطنين من الدرجة الثانية .

وهذه الظاهرة قد أزعجتني إزعاجا شديدا . وفي نوبة من نوبات الألم العميق قمت بتأليف كتيب يسمى « لاچا » (أى العار) ، وكان ذلك فى بداية عام ١٩٩٣م . ولهذا الكتاب قصة ، ففي ديسمبر ١٩٩٢م وقع حادث بربرى فى الهند ، إذ هدم الأصوليون الهندوس مسجداً يعود تاريخه إلى أربعة قرون خلّت ، مما أدى إلى وقوع مصادمات بين الهندوس والمسلمين مات فيها الكثيرون . وعلى الجانب الآخر من الحدود ، أى فى بنجلاديش ، بدأ

اضطهاد الأقلية الهندوسية ردًا على ما حدث . وقد رأيت أن هذا وضع لا يمكن احتمالاه ، وأنه لا بد من الاحتجاج ، إذ لا يصح أن يكون الرد على البربرية ببربرية مثلها . ويصوّر الكتيّب المذكور تجربة إحدى الأسر الهندوسية التي تعيش فى بنجلاديش ، كما أنه يقدم أيضا بعض الحقائق والأرقام المتعلقة باضطهاد الأقليات فى بلادى . وقد رفض كثير من الناس فى بنجلاديش أن يروا إلى أى مدى بلغ بى الألم واليأس ، هذا المدى الذى دفع فردا مثلى من الأغلبية إلى تسجيل ما تتعرض له الأقلية من مصائب وبلايا ، وبدأوا يتهموننى بأننى إنما ألّفت هذا الكتاب خدمةً لأهداف الأصوليين الهنود . لكن الحقيقة العارية هى أننى قد هاجمت فى هذا الكتاب جميع الأصوليين من كل الأقطار ، أولئك الذين يضطهدون باسم دين من الأديان أتباعَ دين آخر . إن « العار » فى الواقع هو عار على بلدى ، وعلى حكومة بلدى ، وعلى مجتمعى ، وعلىّ أنا أيضا . ذلك أننا قد انحرفنا جميعا عن مثلنا الأعلى . انحرفنا عن إنسانية الإنسان . إن البلد الذى كان عند بروزه إلى الوجود دولة علمانية قد عاد فجعل من الإسلام دينه القومى ، وإن الوطنية التى كان ينبغى أن تحمى الثقافة البنغالية المشتركة تضع نفسها الآن فى خدمة الأصولية . لقد غضب منى الأصدقاء والمثقفون « التقدميون » بسبب هذا الكتاب ،

وكان سؤالهم هو : هل نحن جميعا متعصبون وطائفيون ؟ والجواب : كلا على الإطلاق. وإننى أعتقد أن الأغلبية فى بنجلاديش هى أغلبية طيبة ومتسامحة وغير طائفية . لكن بعد ذلك كله كيف يمكننا أن ننكر أننا ، رغم الجهود المكثفة ، لم نستطع أن ننقذ امرأة هندوسية أو نمنع أسرة بنجلاديشية من مغادرة البلاد ؟ أليس هذا عاراً علينا ؟

إننى لا أريد أن آخذ كثيراً من وقتكم ، لكن قبل أن أنهى حديثى أحب أن ألفت انتباهكم إلى بعض الحقائق . لقد سحِبَ جواز سفرى منى ، كما صودر كتابى « العار » . لكننى ، رغم مصادرتة فى بنجلاديش ، أشعر أن الكثيرين يعدونه تصويراً حقيقياً لانقسام المجتمع على أساس أغلبية وأقلية . أما المشايخ فقد أصدروا ضدى الفتاوى ، وأعلنوا أكثر من مرة عن جوائز مالية لمن يأتيهم برأسى ، كما طالبوا بقتلى مرارا فى دكا وغيرها من المدن . وقد ظلت الحكومة لوقت طويل تشاهد فى صمت ما يجرى أمامها ، ثم بادرت بعد ذلك بإصدار أمر بالقبض علىّ ، مما اضطرنى إلى الاختباء . ولكن فى النهاية كان لابد من أن أسلم لهم نفسى . وقد أفرجت الحكومة عنى بكفالة وسمحت لى بمغادرة البلاد . وأنا الآن حرة . والفضل فى هذه الحرية إنما يعود إلى الكتاب والمثقفين فى كثير من البلاد ،

وكذلك إلى كثير من المنظمات النسائية التي حاربت من أجلى بكل ضراوة . والحقيقة أن الحب والعطف اللذين أفاضهما هؤلاء وأولئك على كاتبة صغيرة مثلى هو شيء لا نظير له .

وأخيرا فرغم أنى لستُ من أصحاب النظريات ، فإن السبب وراء انتشار الأصولية فى أرجاء العالم هو أمر يدعو إلى التأمل والتحليل . وليس الإسلام هو القوة الوحيدة فى هذا المجال . وفى البلاد المسلمة أيضاً لا تنقطع المناقشات والبحوث حول هذا الموضوع ، حيث يخضع كل شيء ، من التاريخ إلى الجغرافيا إلى الاقتصاد إلى السياسة إلى الثقافة ، للمراجعة والاختبار . ومهما يكن الأمر فلست بحاجة إلى القول بأن الأصولية ليست هى القوة الدافعة الوحيدة فى الأقطار الإسلامية ، ولا حتى فى جنوب شرق آسيا . ومن ثم فإننى غير مستعدة للاقتناع بما يقال من أن ما نشهده الآن هو الطبعة الحديثة للصراع القديم بين النصرانية والإسلام . وأيا ما يكن السبب فإننى أعتقد أن الأصولية الدينية ، مثلها فى ذلك مثل قوى الظلام الأخرى جميعا ، شر وبلاء . ولا بد من التصدى لها ومحاربتها أيا كان الدين الذى تضطهده .

وهأنذى أقطع على نفسى العهد أمامكم بأن أستمرفى كفاحى

من أجل حرية المرأة وتحررها وتقدمها وتطورها . إننى لا أدرى مدى نصيب شعرى من الشاعرية ، ولا مدى نصيب نثرى من الجودة ، ولا مدى نصيب رواياتى من الإتقان ، لكننى أدرى بالتأكيد أننى لم أكتب ما كتبت بقلمى وحده ، بل وضعت فيه عصاره روحى . إننى لا أدرى أتصل كلماتى إلى قلوب الآخرين أم لا . لكننى بالتأكيد أعرف هذا الذى سأقوله معرفة اليقين ، وهو أن النساء فى بلادى يدركن أننى إنما كتبتُ ما كتبت من أجلهن . من أجل هؤلاء النساء الخُرس البُكم اللائى تتمزق قلوبهن ولكن شفاههن تعجز عن التعبير بالكلمات .

صقيع في روحى

بقلم تسليمة نسرین

ها هي ذى سنة قد مرت وزاد عمري سنة أيضا ، لكن السنة الجديدة لم تأتني بأى وعدٍ أو أمل في الحرية . إن المنفى يبدو وكأن لا نهاية له . ترى إلى متى سأظل أحياء حياة الغربة في بلد غريب ؟ الواقع أنني لا أستطيع أن أرى أى سبب للشعور بالأمل في الغد الآتى .

والواقع أنه لو طلب مني أن أتمنى أمنية واحدة لكان جوابي على الفور : أريد العودة إلى بلادى بنجلاديش . لقد مرت سنوات كثيرة منذ أن غادرت أرض الوطن . سنوات كثيرة منذ أن ألقيت لآخر مرة بنظرة على وجهه الجميل . وأحيانا ما أشعر أنني على شفا الجنون ، أما بالنسبة لمن يحكمون على من ظاهر أحوالى فإننى لا بد أن أكون سعيدة راضية ، إذ لست أشعر بأى قلق من جهة الطعام أو الملابس أو المأوى ، وذلك على عكس معظم الناس في بنجلاديش . كذلك لم تعد حياتى مهددة كما كان الحال قبلا ، فلا فتوى ولا مظاهرات ضدى . ومع هذا فلم يعد هناك ذلك التدفق العفوى في كتاباتى .

إن ناساً كثيرين جدا هنا يحيطوننى بالرعاية والصدقة ، لكننى لا أستطيع القول بأننى سعيدة ، فقد اقتلعتُ جذورى من التربة التى نبتُ فيها ونَمَوْتُ حتى أصبحت ما أنا عليه الآن . إن أوروبا هى « بلاد الأحلام » فى نظر الكثيرين . ولكن أى شىء أنا هنا ؟ أنا إنسانة بلا جذور فى هذه الأرض الغريبة . إنسانة ليس لديها شعور بالانتماء . مجرد نبات آخر من البلاستيك فى زهرية مطلية لا تتفتح فيها أزهار . بل إن البراعم نفسها لتصوّح قبل أوانها بوقت طويل .

ومع ذلك فإننى أحس فى أعماقى بالرغبة فى الخلق ، وفى الإزهار مرة ثانية . أريد أن أعود من جديد إلى الكتابة . لكننى فى العام المنصرم لم أستطع أن أكتب شيئا غير القصائد . قصائد نابعة من دموع روحى المحبطة وتنهدياتها . لقد استطعت فقط أن أصور اشتياقى إلى أن أصبح طائرا حتى أطير عائدة إلى وطنى الحبيب . إننى أذكر كيف أن الطيور فى الشتاء تقوم برحلاتها الطويلة قادمةً من بلاد باردة سحيقة مثل سيبيريا إلى بنجلاديش سعيا وراء الدفء وضوء الشمس . أنا أيضا كنت رهينة برودة الحبس الشتائية فى بلادى حينما صدرت الفتوى ضدى وأعلن عن مكافأة لمن يأتى برأسى . لكن أوروبا هى التى أسبغت علىّ الحماية وأنقذت حياتى ، ولن أستطيع أبدا نسيان هذا الكرم الدافئ الذى أبدته نحوى .

لكن قلبي مع ذلك ما زال مشتاقا إلى العودة . إلى أن أبدأ
حياتي من جديد كاتبةً في البيعة التي ألفتها وبين أبناء وطني
الذين أعرفهم . إلى أن أجلس خلف مكتبي القديم وفي يدي
قلمي . ترى أتظل بنجلاديش هي الصقيع الأبدى الذي على أن
أقاسي آلامه ؟

الفهرست

٥	المقدمة
١٥	تسليمة نسرین وموقفها من الإسلام والمسلمين
٣٩	البناء الفني للرواية
٧٩	ترجمة الرواية
١٢٣	ملاحق الكتاب

رقم الإيداع ١٩٩٦/٨٤٧١
التقييم الدولي 1-1294-19-977

وَالرَّغْرُورِ لِلدَّيْمِيَّةِ
منشأة السد العالي
٢٩٧٩٥٣٥٢

نبذة عن المؤلف



د. إبراهيم عوض

- * ليسانس آداب جامعة القاهرة ١٩٧٠ م
 - * دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢ م
 - * له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية
- منها :

- المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته
- المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية)
- المستشرقون والقرآن
- ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته ؟ دراسة فنية وموضوعية نلايات الشيطانية
- الترجمة من الإنجليزية - منهج جديد
- التابغة الجعدى وشعره
- من ذخائر المكتبة العربية
- البسج في القرآن (مترجم عن الإنجليزية)
- جمال الدين الأفغانى - مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل

مكتبة زهراء الشرق

١٩٩٦ م